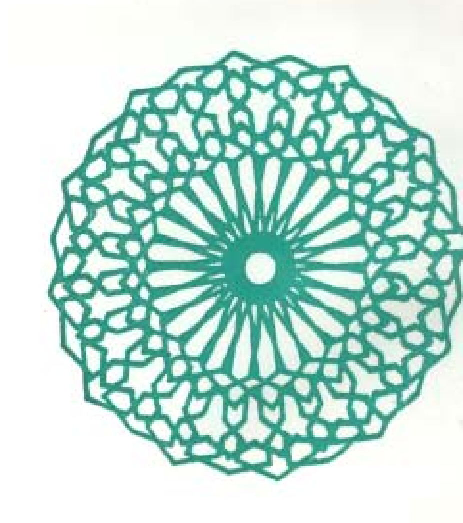
واء أحمد عبد الوهاب

إعجاز النظم القرآني



مكتبة غريب

الطبعة الأولى

ربيع الأول ــ ١٤٠٠ هـ

فبراير ــ ١٩٨٠ م

بسم الله الرحمن الرحيم

« إن علينا جمعه وقـرآنه .

فإذا قـرأناه فـاتبع قـرآنه .

ثم إن علينـا بيـانه » .

(سورة القيامة)

★



مقـــدمة

« الحمد لله فاطر السموات والأرض ...

ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها ، وما يمسك فلا مرسل له من بعده ، وهو العزيز الحكيم »(١) .

✶

أما بعد — فهذا كتاب لايحتاج إلى تقديم كثير ، يقع فى مبحثين ، يتحدث الأول فى « النظام القرآنى » ، ويتحدث الثانى فى « النظام الكونى » . ثم ينتهى « بخاتمة » تقرر نتيجة ما إنتهت إليه هذه الدراسة ، وهى نتيجة منطقية تماثل فى استخراجها تلك النتائج التى تعقب النظريات الهندسية .

وأخيراً — فإن هذا الكتاب يتطلب لاستيعابه شيئاً غير قليل من الصـــبر والأناة ، كما يتطلب الـــكثير من إعمـــال الفـــكر وإستجلاء البصيرة .

★

« وهذا صراط ربك مستقيما ، قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون »(٢) .

أحمد عبد الوهاب

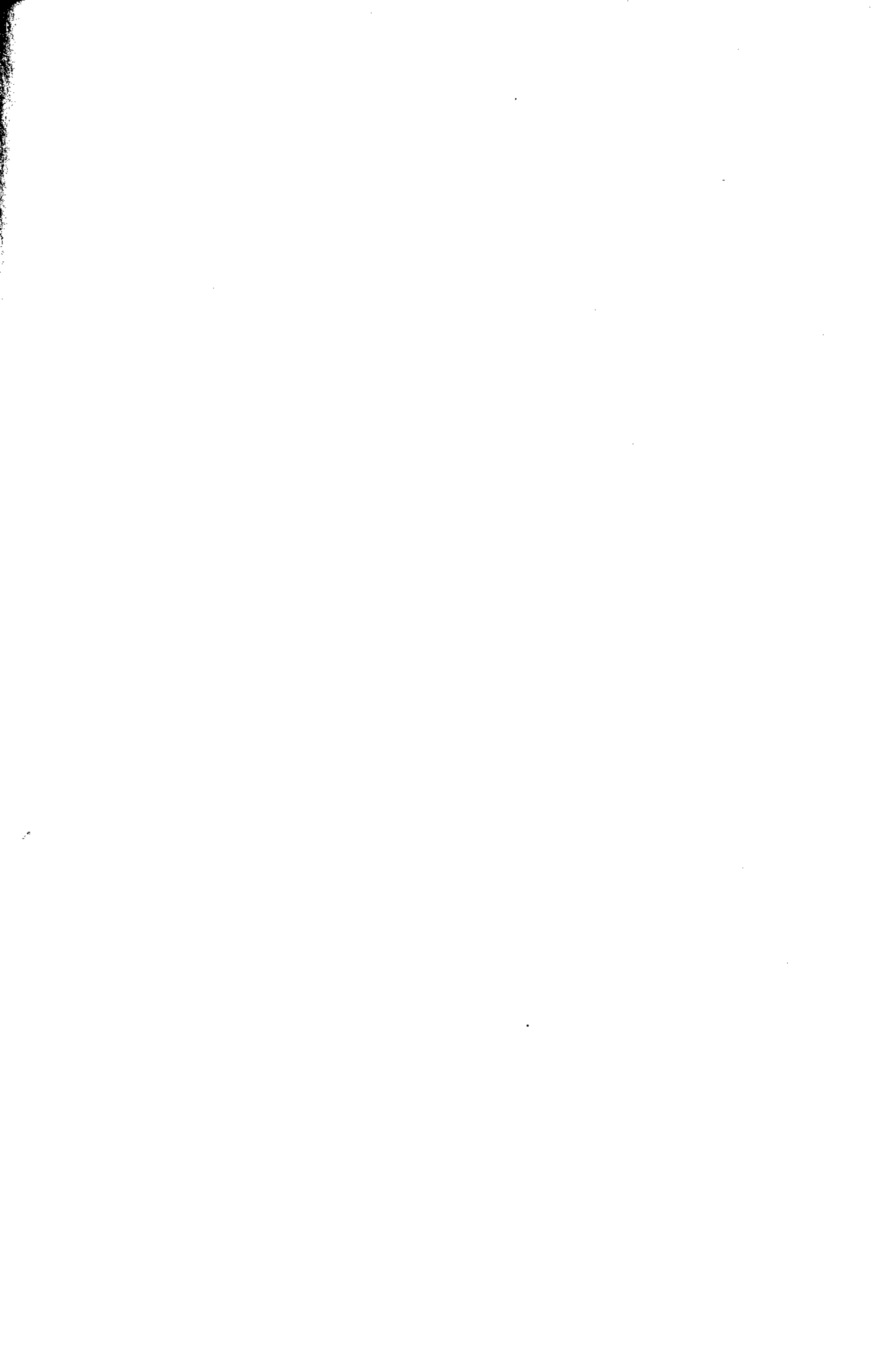
★★★

---

(١) سورة فاطر : ١ — ٢

(٢) سورة الأنعام : ١٢٦

النظام القــرآنى



وحـــدة السورة

تمهيد :

تبدأ دراسة الظواهر المختلفة بملاحظة خاصية أو أكثر من خواصها تجذب إنتباه الإنسان إليها ، فإذا أمعن النظر فيها تأكدت له ملاحظته الأولى . وتعتبر هذه المرحلة من المشاهدة والملاحظة دراسة وصفية لتلك الظاهرة .

تبدأ بعد ذلك الدراسة الموضوعية التى تهدف إلى تقنين تلك الظاهرة وبحث مختلف العوامل والظروف التى تؤثر فيها أو تتأثر بها ، على أسس كمية . وقد تكون هذه الدراسة نظرية بحتا كما فى حالة الرياضيات ، أو تكون عملية بالتجارب والقياسات أو بكليهما معا كما فى العلوم الطبيعية والكيميائية ونحوها . وتنتهى هذه المرحلة بوضع الظاهرة فى صورة قانون ، يصاغ كحقيقة علمية لا تقبل النقض .

وقديعقب ذلك مرحلة أخيرة وهامة ، هى فلسفة هذه الظاهرة وبيان أوجه الحكمة فيها ، والأسباب التى أدت إلى حدوثها على تلك الصورة التى يراها الرائى ويحس بها المستشعر .

وهكذا تسير دراسة « **النظام القرآنى** » على نفس المنوال ، فينعدم بذلك المراء فيه أو يكاد ، لأن الدراسة هنا صنو لدراسة

الرياضيات والطبيعيات ، لا تسمح لأمزجة البشر المختلفة وأهوائم المتقلبة دائماً ، بالتحكم فيما انتهت إليه من تقدير كميات وإثبات خواص .

★★

ولقد بدأت دراسة ما انتهت تسميته « **بالنظام القرآنى** » بملاحظة أن كل سورة من سور القرآن تتميز باستخدام ألفاظ أو تعبيرات خاصة بها ، وهذه وإن كان من الطبيعى أن توجد فى غيرها من السور الأخرى إلا أنها تغلب فى واحدةمن تلك السور على كل ما عداها ، بل إنه قد لوحظ أن بعض تلك الألفاظ قد اختصت بها سورة ما ، ولم تتكرر ثانية فى غيرها من سور القرآن على الإطلاق .



ومن المعلوم : أن القرآن لم ينزل سورة سورة — إلا قليلا أغلبه من السور القصيرة — لكنه نزل متفرقا فى مجموعات من الآيات التى تختلف طولا وعدداً ، وأحيانا نزل ببعض آية . وكان ينزل على الرسول وهو بين أهله ، أو بين صحابته ، بالليل أو بالنهار ،وهو على راحلته فى الطريق أو مقيم فى واحدمن الأماكن الكثيرة فى مكة والمدينة وما حولها من تلك البقاع التى شهدت نزول الوحى خلال سنين طويلة .

وأن عملية جمع الآيات – أو التأليف بينها – لتكون سورة قائمة بذاتها ، قد تمت بأمر رسول الله وتحت إشرافه . فلقد قال زيد بن ثابت كبير كتاب الوحى : كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم نؤلف القرآن من الرقاع (التى كتب عليها مثل العظم والجلد ونحوه) . وكان الرسول يقول لكتاب الوحى : ضعوا هذه الآية أو الآيات بين آية كذا وكذا من سورة كذا .

ولقد كانت أول آيات القرآن نزولا على رسول الله – وهو فى غار حراء بمكة – مطلع سورة العلق ، وهى الآيات الخمس الأولى من قوله تعالى : « إقرأ باسم ربك الذى خلق » إلى قوله تعال : « علم الإنسان ما لم يعلم ». ثم تأخر نزول باقيها إلى مابعد نزول سورة المدثر ، وهى مكية أيضاً .

كذلك تأخر نزول الآيات ١٠ ، ١١ ، ٢٠ من سورة المزمل – وهى مكية ومن أوائل سور القرآن نزولا – إلى مابعد الهجرة ، حيث نزلت بالمدينة .

حتى إذا ما اكتمل نزول القرآن واكتملت بذلك الآيات التى تتكون منها كل سورة ، نجد أن السور المكية تضم آيات مدنية نزلت بعدها بسنين ، كما فى سور : القلم ، والمزمل ، والواقعة ، والقمر ، والنجم ، وأغلب سور الحواميم ، والأنعام ، والأعراف ، ويونس ، وهود ، . . .

وتضم السور المدنية آيات مكية نزلت قبلها بسنين ، كما فى سور . الأنفال ، والتوبة . وهناك سور نزلت آياتها جميعاً بمكة ، مثل : الأنبياء ، والمؤمنون ، وفاطر ، والصافات ، وص ، والذاريات ، والطور ، والملك ، والمدثر ، . . .

كما أن هناك سوراً نزلت جميعها بعد الهجرة إلى المدينة ، مثل : آل عمران ، والنساء ، والرعد ، والنور ، والأحزاب ، والرحمن ، والحديد ، . . .

ولقد نزلت آيات القرآن متفرقات ، تتحدث فى كل شىء ...

فى خلق السموات والأرض ، وخلق الإنسان . . . وفى العقيدة ، والشريعة ، والمعاملات ، والعبادات ... وفى مشاكل الحرب ومطالب السلام ... وفى النفس البشرية ووساوسها وإنفعالاتها . . . وفى مختلف العقائد ومقارنة الأديان . . . وفى شتى علوم التاريخ ، والاجتماع والفلك ، والطبيعة ، والكيمياء ، والتشريح . . .

وباختصار جاءت آيات القرآن بكل ما يهم الإنسان فى الدنيا ، ويؤمن سعادته فى الآخرة .



إن ذلك كله معلوم عن آيات القرآن نزولا ، وجمعا ، ومحتوى ، فاذا وجدنا بعد ذلك أن اكتمال الآيات فى سورها —

خلال تلك المدة الطويلة التى بلغت نحو ٢٣ عاماً واقترنت بذلك الصراع الرهيب بين المسلمين والكفار - قد جاء وفق « **نظام** » ، لأدركنا على الفور أننا أمام معجزة محسوسة ، لكل من يطلب المزيد من معجزات القرآن .



لقد كان هذا هو الفكر المبدئى والحافز على السير فى هذه الدراسة ، التى ما أن اكتملت خطوطها الرئيسية وبدىء فى تفصيلاتها ، حتى وقع فى يدى كتاب « **أسرار التكرار فى القرآن** » ، وهو الجزء الثانى من سلسلة « نوادر التراث » التى تصدرها : **دار الاعتصام** - بالقاهرة . والكتاب تحقيق لكتاب « **البرهان فى توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان** » لمؤلفه تاج القراء **محمود بن حمزة بن نصر الكرمانى** ، **حققه عبد القادر أحمد عطا** ، ثم أعقبه بالجزء الثالث من تلك السلسلة ، وقد صدر بعنوان « **أسرار ترتيب القرآن** » ، والذى جاء تحقيقا لكتاب **تناسق الدرر فى تناسب السور** » لمؤلفه **الحافظ جلال الدين السيوطى** .
لقد كان هذان الكتابان خير دافع للإسراع فى هذه الدراسة .



يقول المحقق فى مقدمة هذا الكتاب الأخير : « لقد عرف سر ترتيب القرآن قديماً **بعلم المناسبات** ، وما عرف منه فإنما هو

فى ترتيب المصحف أما أسرار ترتيب النزول فلا نعلم أحداً تعرض له فى كتاب ، لا فى القديم ولا فى الحديث ، إلا قليلا فى كتب الأصول .

ورغم كثرة كتب التفسير التقليدى فان المؤلفات فى سر ترتيب القرآن أو علم المناسبات ، قليلة جداً . فالذى نعلمه من هذه الكتب كتاب البقاعى : **نظم الدرر** ، ومنه نسخة كاملة بالمكتبة الأزهرية بمصر فى ستة مجلدات كبار ،وكتاب :**البرهان فى مناسبة ترتيب سور القرآن** ، لأبى جعفر بن الزبير ، شيخ أبى حيان صاحب البحر المحيط ، وكتاب السيوطى هذا الذى نقدمه للقراء ، وكتاب آخر للسيوطى سماه : **مراصد المطالع فى المقاصد والمطالع** ، وكتاب قال السيوطى أنه كتبه وجعل من أبوابه الموسوعية ترتيب القرآن ، سماه : **أسرار التنزيل** .

وقد نبه العلماء قديما على إهمال علم المناسبة ، ولفتوا الأنظار إلى أنه يحتوى على **لطائف القرآن** ، بل إن الفخر الرازى قال : من تأمل فى لطائف نظم السور وبديع ترتيبها ، علم أن القرآن ، كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه ، فهو أيضا بسبب ترتيبه ونظم آياته . ولعل الذين قالوا إنه معجز بسبب أسلوبه ، أرادوا ذلك ، **إلا إنى رأيت جمهور المفسرين معرضين عن هذه اللطائف ، غير منتبهين لهذه الأسرار** (ا . هـ) .

وكان ابن العربى قد يئس من طلاب العلم والعلماء الذين أعرضوا جملة وتفصيلا عن هذا العلم الجليل ، وأعرب عن يأسه فى قوله : ارتباط آى القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة ، متسقة المعانى ، منتظمة المبانى ، **علم عظيم** ، لم يتعرض له إلا عالم واحد عمل سورة البقرة ، ثم فتح الله لنا فيه ، فلما لم نجد له حملة ورأينا الخلق بأوصاف البطلة ، ختمنا عليه وجعلناه بيننا وبين الله ورددناه إليه (ا . هـ) .

وقد جاهد الشيخ أبو بكر النيسابورى فى نشر هذا العلم ، فجعل دروسه فى التفسير قائمة على بيان المناسبات ، ومع ذلك فقد أعلن سخطه على علماء بغداد لعدم علمهم بالمناسبات »(١) .



لقد بين ابن العربى مجال « علم المناسبات » ومراميه ، فقال أنه العلم الذى يبحث فى « ارتباط آى القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعانى ، منتظمة المبانى » .
ونقول باختصار أن علم المناسبات هو علم « وحدة البناء » : بناء الآيات معا وفق نظام لتكون السورة ، وبناء السور معا وفق نظام لتكون القرآن العظيم .

---

(١) أسرار ترتيب القرآن : ص ٣٩ ــ ٤٠

وإن البحث فى هذا يمكن أن يسير وصفيا ، أو كميا (إحصائيا) ، أو بكليهما معا .

★

لقد بدأت الدراسات الإحصائية للقرآن مبكرة جداً ، فهذا ابن كثير يذكر فى مقدمة تفسيره : « أن الحجاج جمع القراء والحفاظ والكتاب فقال : أخبرونى عن القرآن كله ، كم من حرف هو ؟ قال : فحسبنا فأجمعوا أنه ثلثمائة ألف وأربعون ألفا وسبعمائة وأربعون حرفا .

قال : فأخبرونى عن نصفه ، فاذا هو إلى الفاء من قوله فى الكهف (وليتلطف) ، وثلثه الأولى عن رأس مائة آية من براءة والثانى على رأس مائة آية أو إحدى ومائة آية من الشعراء ، والثالث إلى آخره .

وسبعه الأول إلى الدال من قوله تعالى : (فمنهم من آمن به ومنهم من صد) ، والسبع الثانى إلى التاء من قوله تعالى فى سورة الأعراف : (أولئك حبطت) ، والثالث إلى الألف الثانية من قوله تعالى فى الرعد (أكلها) ، والرابع إلى الألف فى الحج من قوله : (جعلنا منسكا) ، والخامس إلى الهاء من قوله فى الأحزاب : (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة) والسادس إلى الواو

من قوله فى الفتح : (الظانين بالله ظن السوء) ، والسابع إلى آخر القرآن .

قال سلام أبو محمد ، علمنا ذلك فى أربعة أشهر »(١) .

لنا بعد ذلك أن نحزن لما أصاب الدراسات القرآنية من ركود وضيق مجال ، استمر قرون عديدة . ولنا كذلك أن نحزن لتلك الحملات الضارية التى يشنها نفر من المتكلفين ، على كل من يحاول لفت الأنظار إلى ما فى القرآن من **لطائف** ، وهو لفظ نستعيره من لغة قدامى شيوخ الدراسات القرآنية .

ونذكر – كمثال – تلك الحملات الضارية وذلك الأسلوب الفج الذى يعامل به العلميون ، كلما ظهرت لهم دراسات فى **لطائف القرآن** كما حدث للدكتور **عبد الرزاق نوفل** حين أصدر كتابة « **الإعجاز العددى للقرآن الكريم** »(٢) ، فقد تصدى له نفر من أولئكم النقاد بالهجوم والتقريع ، بدعوى أن مثل تلك الدراسات تصرف الناس عن اعتبار القرآن كتاب عقيدة وهداية .

ولا علينا من مثل ذلك ، فلنسر فى هذه الدراسة التى تبحث فى « وحدة السورة » باعتبارها تجمعا ارتبطت وحداته

---

(١) تفسير ابن كثير .
(٢) صدر عن دار الشعب بالقاهرة عام ١٩٧٥ فى ٣ أجزاء

ـ آياته ـ وفق نظام ، رغم تنوع موضوعاتها ، وتعدد أساليبها ، وتباعد الفترات الزمنية بين أجزائها ، ثم نستعين بما سبق من دراسات فى هذا المجال، حتى نتبين شيئاً من حقيقة « **النظام القرآنى** » .



★★★

نظرية وحدة السورة

١ – السورة تجمع متكامل ، انتظمت كلماتها فى آيات ، ثم انتظمت الآيات معاً فى هذا التجمع وسور عليها(١) :

٢ – كما أن لكل سور أركان أو قوائم أو روابط فهكذا السورة . ويتمثل ذلك الرباط فى كلمة أو تعبير – يتكون من عدة كلمات – يتكرر ذكره فى السورة إما بنفس اللفظ أو بلفظ مستخرج منه ، مثل تعريف النكرة أو عكسه ، أو إضافة ضمير أو عكسه ، أو جمع لمفرد أو عكسه .

٣ – قد يكون للسورة الواحدة أكثر من رباط ، فكأن هذه الروابط حلقات تربط تجمع الآيات معاً .

٤ – للسورة رباط رئيسى يتردد ذكره فيها أكثر من غيرها من سور القرآن كثرة مطلقة أو نسبية . ولما كان الحق يقول : « وعلامات وبالنجم هم يهتدون » فسوف نصطلح على إطلاق اسم « العلامة » على هذا الرباط الرئيسى .

---

(١) يرى ابن كثير أن كلمة السورة تأتى من الجمع والاحاطة لآياتها كما يسمى سور البلد لاحاطته بالمنازل والدور ، ويرى غيره أنها تعنى الشىء التام الكامل فقد كان العرب يسمون الناقة التامة سورة . (من مقدمة تفسير ابن كثير) .

٥ – يهدى الرباط الرئيسى – أو العلامة – إلى الموضوع الرئيسى الذى تتحدث عنه السورة .

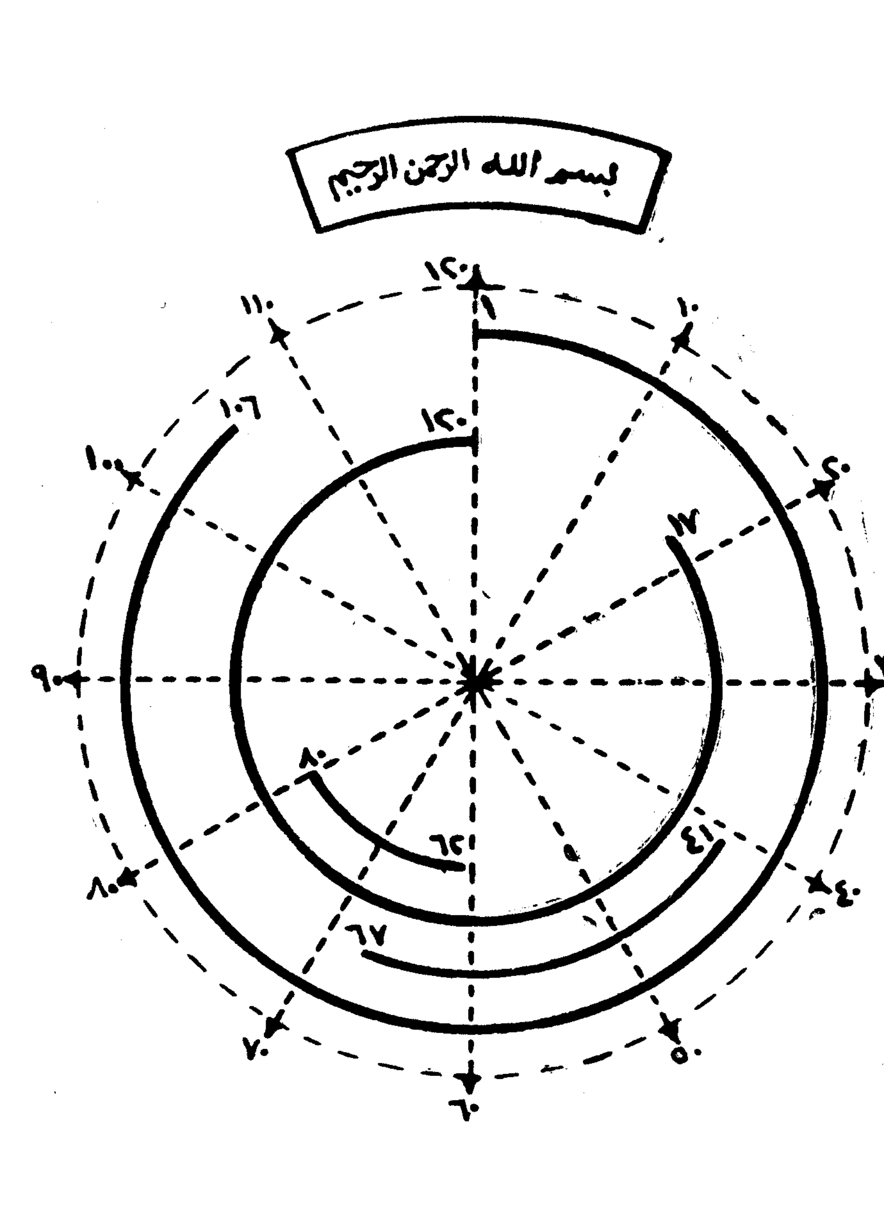
٦ – تنطبق هذه النظرية على السور الطوال كثيرة العـــدد من الآيات .

★

ولعله من الأفضل لزيادة إيضاح مفهوم « نظرية وحدة السورة » أن نتصور السورة كحديقة يحيط بها سور دائرى يتكون من عدة أجزاء – أو أسوار فرعية – تتراص معاً لتكون السور الرئيسى .

فحين يوجد رباط فى إحدى السور فان ذلك يعنى وجود لفظ – أو عدة ألفاظ – يتكرر وجودها فى عدد من آيات تلك السورة . فاذا قسمنا محيط الدائرة إلى أقسام بعدد آيات السورة ، ثم وصلنا بين أرقام الآيات التى يجمعها هذا الرباط ، فلسوف نحصل فى النهاية على سور فرعى أو جزء من السور الرئيسى . وهكذا بالنسبة لبقية الروابط الأخرى .

ويوضح الشكل المبين فى صفحة ٢١ مخططا لروابط سورة عدد آياتها ١٢٠ آية .



بسم الله الرحمن الرحيم
١٢٠
١
١١٠
١٠
١٠٦
١٢٠
١٠٠
٢٠
١٧
٩٠
٨٠
٦٢
٤١
٨٠
٤٠
٦٧
٧٠
٥٠
٦٠

وبفرض أن رباطها الرئيسي –العلامة– يتردد ذكره فى الأيات : ١–٢–٦– ٠٠٠ ٠٠٠ – ١٠٦ ، فقد رسم قوس دائرة يربط هذه الأرقام معاً ، فتشكل بذلك جزء من السور الرئيسي .

ثم تجيء روابطها الأخرى ، وهي ثلاثة كالآتي :

الأول – يتردد ذكره في الآيتين : ٤١–٦٧

الثانى – يتردد ذكره في الآيات : ١٧– ٠٠٠ – ١٢٠

الثالث – يتردد ذكره فى الآيات : ٦٢ – ٠٠٠ – ٨٠

ولذلك رسمت ثلاثة أقواس يربط كل منها بين أرقام آيات كل رباط .

وفى النهاية نكون قد حصلنا على أربعة أقواس تتراص معاً لتقيم سوراً واحداً حول هذه السورة ، وهو ، مايقدم الدليل المادى على وحدة السورة .

★

هذا – وما أحسب ذلك الذى جاء فى البند السادس من النظرية إلا لحكمة تتجلى فى احتمال أن تلك السور الطوال قد تتعرض بسبب طولها للغو فى ترتيب آياتها وحديث إفك حول صحة جمعها يفتريه

الذين كفروا بالقرآن قديماً وحديثاً ، على حين تبطل تلك الشبهة بداهة حين تتعرض لها سور مثل المفصل والقصار ، نظراً لسهولة حفظها — شفاها وكتابة — وخاصة فى تلك البيئة العربية التى اشتهرت بحفظ الأشعار والأنساب .

★

ولسوف نبدأ بدراسة السبع الطوال من سور القرآن وهى : البقرة — آل عمران — النساء — المائدة — الأنعام — الأعراف — يونس ، ثم نتبع ذلك بدراسة عدد آخر من السور التى نراها كثيرة الألفاظ ، حتى نتبين صحة نظرية وحدة السورة .

وأرجو أن أوجه النظر إلى ما سبق بيانه فى « التمهيد » لهذه الدراسة ، من أن المرحلة الأخيرة من دراسة ظاهرة ما إنما تختص بفلسفة تلك الظاهرة وبيان أوجه الحكمة فيها . ونظراً لضيق الوقت المتيسر ، فلسوف أكتفى بدراسة عنصر الحكمة فى سورة البقرة فقط ، على أن يترك الحديث عنه فى باقى السور لفرصة أخرى ، أو لغيرى ممن يريدون المشاركة فى هذا النوع من الدراسات القرآنية ، اللهم إلا لمحة سريعة يفتح الله بها ، فلا مناص إذن من ذكرها ، شكراً لله .



ويهمنا الآن أن نتفق على أسلوب دراسة سور القرآن فى ضوء « نظرية وحدة السورة » ، والذى يتلخص فى ذكر اسم السورة ، ثم ذكر عدد من المصطلحات التى تعين على تحقيق الهدف بأيسر السبل وأقل الألفاظ . وهذه المصطلحات هى :

الآية : ويقصد بها الآية التى ذكر بها الرباط الرئيسى للسورة .

العلامة : هى الرباط الرئيسى للسورة، وتتكون من لفظ واحد أو تعبير يضم عدة ألفاظ ، ومكانها دائماً مطلع السورة ، أى فى الآيات الأولى منها ، بل إنه غالباً ما تكون العلامة فى السطر الأول أو الثانى من مطلع السورة .

ويتردد ذكر لفظ – أو ألفاظ – العلامة الخاصة بكل سورة بين آياتها ، أكثر من ذكر ذات اللفظ – أو الألفاظ – فى أى سورة أخرى من سور القرآن .

روابط أخرى : يماثل كل منها الرباط الرئيسى – العلامة – من ناحية التكوين والتردد داخل السورة فقط ، إلا أنه لا يتحتم وجوده فى مطلع السورة ، كما لا يتحتم أن يكون معدل تكراره فى تلك السورة أكبر منه فى غيرها من سور القرآن .

فالرباط الداخلى يعتبر علامة داخلية فى السورة ، وكأنه يجىء بين كل مقدار من الآيات ليذكرنا بوحدة تجمع آيات السورة .

معدل التكرار : هو عدد مرات ذكر الرباط فى السورة .

معدل التكرار المطلق : هو أكبر معدل تكرار لذكر لفظ — أو ألفاظ — الرباط فى أى من سور القرآن . فإذا قيل أن لفظاً أو تعبيراً — يكون رباطاً — بلغ فى سورة ما معدل التكرار المطلق ، فإن هذا يعنى أنه ذكر فى تلك السورة أكثر من ذكره فى غيرها من سور القرآن .

ونلاحظ من تعريف العلامة — وهى الرباط الرئيسى — أن ذكرها يصل دائماً إلى معدل التكرار المطلق ، وليس العكس بالنسبة لغيرها من الروابط الأخرى . فقد يصل رباط ما إلى معدل التكرار المطلق ، ولكن هذا لا يعنى أنه قد صار رباطاً رئيسياً أى علامة .

معدل التكرار النسبى : هو النسبة بين عدد مرات تردد الرباط وعدد آيات السورة . وتحسب هذه النسبة مئويا .

ولما كان الحق يقول : « **الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثانى** » كان من المحتمل وجود سورتين تشتركان فى رباط يرجح اعتباره علامة ، نظراً لوجوده فى مطلع كل منهما ، ولكثرة تردده فيهما أكثر من غيرها من سور القرآن . وفى هذه الحالة لا يكفى الاعتماد على كثرة التكرار لتحديد العلامة ، لكن الأمر يحتاج إلى تدقيق فى الحساب وذلك بأخذ العاملين التاليين فى الاعتبار ، وهما :

١ — تبكير التردد : ويتحدد بدرجة قرب الرباط من أول السورة . فتلك التي يتردد فيها ابتداء من الآية رقم ٢ من المرجح أن يكون هو علامتها أكثر من تلك التي بدأ يتردد فيها ابتداء من الآية رقم ٥ .

٢ — معدل التكرار النسبي : وقد سبق بيانه .

فإذا جاء هذان العاملان فى جانب سورة ما ، كان ذلك الرباط علامتها . أما إذا اختلفا ، فلا يعتبر علامة لأى منهما ، ولا يخرج عن كونه واحداً من « روابط أخرى » .

وعلى سبيل المثال :

سورتان تشتركان فى رباط يحتمل أن يكون رئيسيا — أى علامة — لأحدهما أو كليهما ، وقد تردد فى الأولى ١٠ مرات ابتداء من الآية رقم ٢ ، وتردد فى الثانية ١٢ مرة ابتداء من الآية رقم ٥ ، فإذا كان عدد آيات السورة الأولى ٥٠ آية ، وعدد آيات السورة الثانية ٦٤ آية ، ففى أى من السورتين يعتبر علامة ؟

تتحدد الإجابة بتحديد عاملى الترجيح وهما :

١ — تبكير التردد : وقد جاء فى جانب السورة الأولى (الآية رقم ٢) .

٢ ــ معدل التكرار النسبى :

وهو للسورة الأولى = ١/٥ أى ٢٠ ٪

وللسورة الثانية = ١٢/٦٤ أى ١٨,٧٥ ٪

إذن يأتى هذا الرباط كعلامة للسورة الأولى، بينما يعتبر واحداً من « روابط أخرى » للسورة الثانية .

هذا ــ وتبين الأعداد المذكورة بجانب كل آية ، رقمها فى السورة موضع الدراسة ، كما أننا سنتوسع فى استخدام الشرطة (ــ) بدلا من الفصلة (،) أو واو العطف ، وخاصة عند ذكر الأرقام ، لما فى ذلك من سهولة ويسر .

والآن ــ نبدأ بدراسة السبع الطوال من سور القرآن العظيم فى ضوء « نظرية وحدة السور » .



(١) سورة البقــرة

الآية : « ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين » — ٢

العلامة : « للمتقين » .

وقد ذكر اسم المتقين ٦ مرات فى هذه السورة فى الآيات : ٢— ٦٦ — ١٧٧ — ١٨٠ — ١٩٤—٢٤١ ، وبلغ معدل التكرار المطلق .

وقد جاء أكبر ترديد له بعد ذلك فى سورة التوبة التى ذكر فيها ٥ مرات فى الآيات : ٤ — ٧ — ٣٦ — ٤٤ — ١٢٣

كذلك جاءت سورة البقرة بأكبر عدد من ألفاظ التقــوى ومشتقاتها مثل :

اتقى—اتقوا — يتق — يتقون... فبلغت معدل التكرار المطلق .

وبذلك يمكن القول بأن أكثر ما تهدينا إليه العلامة فى هذه السورة هو : التقوى ومطالبها ومكاسبها .



روابط أخرى :

١ — « كتب عليكم » وقد ذكر ٤ مرات فى الآيات :

«ياأيها الذين آمنوا : كتب عليكم القصاص فى القتلى...»–١٧٨

« كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيراً الوصية ... » – ١٨٠

« يا أيها الذين آمنوا : كتب عليكم الصيام ... » – ١٨٣

« كتب عليكم القتال وهو كره لكم ... » – ٢١٦

ولا شك أن التقوى – وهى ما تهدينا إليه العلامة فى هذه السورة – تتطلب أن يعمل الإنسان التقى وفق ما كتب الله ، وأن يتقبل ذلك بالشكر والرضا .

٢ – « **يسالونك** » وقد جاء ٧ مرات فى الآيات :

« يسألونك عن الأهلة ، قل ... » – ١٨٩

« يسألونك ماذا ينفقون ، قل ... » – ٢١٥

« يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه ، قل ... » – ٢١٧

« يسألونك عن الخمر والميسر ، قل ... » – ٢١٩

« يسألونك ماذا ينفقون ، قل ... » –٢١٩

« يسألونك عن اليتامى ، قل ... » – ٢٢٠

« يسألونك عن المحيض ، قل ... » – ٢٢٢

وقد بلغ هذا الرباط معدل التكرار المطلق .

ومن الواضح أن المتقين يريدون أن يتقوا الله حق تقاته فيعبدوه على علم وبصيرة ، وهذا يتطلب السؤال فيما يعنيهم ويعينهم على التفقه فى الدين .

٣ — « **السفهاء** » وقد ورد هذا اللفظ ومشتقاته ٥ مرات فى الآيات :

« وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس ، قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء » — ١٣

« ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون » — ١٣

« ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه » — ١٣٠

« سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها ... » — ١٤٢

« فإن كان الذى عليه الحق سفيها أو ضعيفا ... » — ٢٨٢

وقد بلغ هذا الرباط معدل التكرار المطلق .

٤ — « صم بكم عمى » وقد ورد هذا التعبير مرتين فى الآيتين : ١٨-١٧١ ، وبلغ معدل التكرار المطلق .

ولم يرد له نظير إلا فى سورة الاسراء فى قوله : « ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما » — ٩٧

٥ ـ « **تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون** » . وقد ورد هذا الرباط مرتين فى الآيتين : ١٣٤ـ١٤١ ، ولم يذكر فى غير هذه السورة ، فبلغ معدل التكرار المطلق .

٦ ـ « **يا بنى إسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم** » . وقد ورد هذا الرباط ٣ مرات فى الآيات : ٤٠ ـ ٤٧ ـ ١٢٢ ، وبلغ معدل التكرار المطلق .

٧ ـ « **فى شقاق**» وقد ورد مرتين فى الآيتين : ١٣٧ ـ ١٧٦ ، وبلغ معدل التكرار المطلق .

★

ونحاول الآن أن نعرض لحكمة ربط سورة البقرة بالتقوى ، فنقول إن سورة البقرة جامعة شاملة فيها :

١ ـ **أركان الإسلام الخمسة** التى بنى عليها .

ـ وأولها شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله :

« وإلهكم إله واحد ، لا إله إلا هو الرحمن الرحيم » ـ ١٦٣

« الله لا إله إلا هو الحى القيوم » ـ ٢٥٥

« إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً » ـ ١١٩

ـ ثم إقام الصلاة وإيتاء الزكاة :

« وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ، وماتقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله ، إن الله بما تعملون بصير » — ١١٠

— وصوم رمضان :

« يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام ، كما كتب على الذين من قبلكم ، لعلكم تتقون » — ١٨٣

— وحج البيت :

«وأتموا الحج والعمرة لله .. وتزودوا فإن خير الزاد التقوى ، واتقون يا أولى الألباب » — ١٩٦ ، ١٩٧

٢ — قصة خلق آدم بأركانها الأساسية التى جعلتها تتميز عن غيرها من قصص خلقه التى ذكرت فى السور الأخرى :

« وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة ، قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ، ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ، قال إنى أعلم ما لا تعلمون .

وعلم آدم الأسماء كلها ، ثم عرضهم على الملائكة ، فقال أنبئونى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين . قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا ، إنك أنت العليم الحكيم .

قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم ، فلما أنبأهم بأسمائهم ، قال ألم أقل لكم إنى أعلم غيب السموات والأرض ، وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون » — ٣٣/٣٠

لقد جاءت قصة خلق آدم وسجود الملائكة له إلا إبليس الذى لقب عقب تمرده بالشيطان ثم ما كان من إغوائه لآدم بعصيان تعاليم الله ووقوعه فيما يعرف بالخطيئة الأولى ، كل ذلك جاء ذكره فى ست من سور القرآن هى : البقرة — الأعراف — الحجر — الإسراء — طه — صۤ ، إلا أن ما ذكر فى سورة البقرة يتميز عما ذكر فى غيرها من السور لأسباب :

(١) تقرر بوضوح فى سورة البقرة أن الهدف الرئيسى من خلق الإنسان ، هو أن يكون خليفة لله فى أرضه .

(٢) وأن ما فى الإنسان من روح الله، وما آتاه الله من علم ، أعطاه الأفضلية والتكريم .

(٣) وأن سعادة الإنسان مرتبطة باتباع تعاليم الله ، فليجاهد — إذن — ضد كل ما يصرفه عن منهج الله .

(٤) وأن خطيئة آدم تلك قد غفرها الله ، فلا مكان إذن للحديث عن خطيئة يتوارثها الأبناء والأحفاد، لأن هذا يتنافى تماما مع عدل الله .

« فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه ، إنه هو التواب الرحيم » — ٣٧

٣ — **المطالب الجوهرية للتقوى** والتى تتمثل فى إيمان كامل وعمل صالح . وقد جمع هذا فى الآية العظيمة ، آية البر :

« ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ، ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين ، وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب ، وأقام الصلاة ، وآتى الزكاة ، والموفون بعهدهم إذا عاهدوا ، والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس ، أولئك الذين صدقوا ، وأولئك هم المتقون » — ١٧٧

٤ — ويطول بنا الحديث فى محتوى سورة البقرة ، ولهذا نكتفى بذكر رءوس الموضوعات الرئيسية الأخرى التى تشتمل عليها هذه السورة ومنها :

الجهاد — وما عليه اليهود والنصارى — ومجمل عناصر الشريعة وخاصة ما ذكره السيوطى(١) — مثل :

الطهارة ، والحيض ، والصلاة ، والاستقبال ، وطهارة المكان ، وصلاة الجماعة ، وصلاة الخوف ، وصلاة الجمع ، والزكاة

(١) أسرار ترتيب القرآن : ص ٨٠

بأنواعها ، والاعتكاف ، وأنواع الصدقات ، والبر ، والبيع ، والإجارة، والميراث ، والوصية ، والوديعة، والدين، والنكاح ، والصداق ، والطلاق ، والخلع ، والرجعة ، والإيلاء ، والعدة ، والرضاع ، والنفقة ، والقصاص ، والدية ، وقتال البغاة ، والردة ، والأطعمة ، والذبائح ، والأيمان ، والنذور ، والقضاء ، والشهادات ، والربا ، والخمر ، والميسر ، والعتق ، ...



صدق رسول الله القائل فى فضل هذه السورة : « لكل شيء سنام ، وإن سنام القرآن سورة البقرة» . وقد سماها هى وسورة آل عمران : «الزهراوان » . وسميت سورة البقرة أيضا « فسطاط القرآن » أى المدينة الجامعة .



(٢) سورة آل عمران

الآية : « نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه ، وأنزل التوراة والإنجيل » – ٣

العلامة : « أنزل التوراة والإنجيل » .

ذكر هذا التعبير مرتين فى هذه السورة فى الآيتين : ٣ – ٦٥ ، وبلغ معدل التكرار المطلق .

ويجب ملاحظة أن هذه العلامة تعبير يختلف عن مثل قوله : « أقاموا التوراة والإنجيل » ، فالعلامة تتعلق بالحديث عن إنزال التوراة والإنجيل ، وهو شيء مختلف أيضاً عن الحديث عن إنزال التوراة ، وإنزال الإنجيل .

وحين نستعرض آيات القرآن التى تجمع « التوراة والإنجيل » معاً ، علاوة على الآية رقم ٣ من هذه السورة ، نجدها كالآتى :

«ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل» – آل عمران : ٤٨

« يا أهل الكتاب لم تحاجون فى إبراهيم ، وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده » – آل عمران : ٦٥

« ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل » – المائدة : ٦٦

« قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل » – المائدة : ٦٨

«وإذعلمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل» – المائدة : ١١٠

«وعدا عليه حقاً فى التوراة والإنجيل والقرآن» – التوبة : ١١١

★

روابط أخرى :

١ – « **أهل الكتاب** » وقد ذكر ١٢ مرة فى الآيات : ٦٤–٦٥–٦٩–٧٠–٧١–٧٢–٩٨ –٩٩–١١٠–١١٣–١٩٩ ، وبلغ معدل التكرار المطلق .

ويليه ماجاء فى سورة المائدة حيث ذكر فيها ٦ مرات فقط .

٢ – « **القيوم** » ، وقد ذكر هذا الاسم الكريم فى الآية ٢ ولم يذكر ثانية فى القرآن إلا فى سورة البقرة : ٢٥٥ ، وسورة طه : ١١١

أما المشتقات فقد ذكرت فى سورة آل عمران فى الآيات : ١٨–٣٩–٥٥–٧٥–٧٧–٩٧–١١٣–١٦١–١٨٠–١٨٥–١٩٠–١٩٤



لقد وضح الآن أن سورة آل عمران هى أكثر سور القرآن ذكراً لأهل الكتاب ، وهذا يتفق والعلامة التى جاءت فى صدر السورة والتى تتحدث عن : التوراة والإنجيل ، وما كان فيهما وما صار إليه أمرهما . فكأن العلامة تهدينا إلى توقع حديث شامل عن أهل الكتاب ، تقدمه سورة آل عمران .



(٣) سورة النساء

الآية : « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالا كثيراً ونساء ، واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام ، إن الله كان عليكم رقيبا» — ١

العلامة : رجالا .. ونساء » .

لقد ذكر الرجال والنساء — معاً — ٧ مرات فى هذه السورة فى الآيات : ١ — ٧ — ٣٢ — ٣٤ — ٧٥ — ٩٨ — ١٧٦ ، وبلغ معدل التكرار المطلق .



روابط أخرى :

١ – « **النساء** » ، وقد ذكر – معرفة أو نكرة – فى هذه السورة ٢٠ مرة فى الآيات : ٣ – ٤ – ١١ – ١٥ – ١٩ – ٢٢ – ٢٣ – ٢٤ – ٤٣ – ١٢٧ – ١٢٩ ، بالإضافة إلى آية العلامة ، وبلغ هذا الرباط معدل التكرار المطلق .

٢ – « **لله ما فى السموات وما فى الأرض** » وقد ذكر ٤ مرات فى الآيات : ١٢٦ – ١٣١ – ١٣٢ ، وبلغ معدل التكرار المطلق .

وهذا تعبير مخالف لقوله : « لله ما فى السموات والأرض » الذى ذكر فى هذه السورة فى الآية ١٧٠ ، كما ذكر فى سور أخرى من القرآن .



إن العلامة تهدينا فى هذه السورة إلى الحديث عن أمور أكثرها يهم الرجال والنساء معاً . ولما كان لفظ النساء قد تردد فيها أكثر من أى سورة أخرى من سور القرآن ، فقد جاءت تسميتها « سورة النساء » مطابقة تماما لواقع الحال .



(٤) سورة المائدة

الآية : « يا أيها الذين آمنوا ، أوفوا بالعقود ، أحلت لكم بهيمة الأنعام إلا ما يتلى عليكم ، غير محلى الصيد وأنتم حرم ، إن الله يحكم مايريد » — ١

العلامة : « يا أيها الذين آمنوا » .

ذكر هذا الرباط ١٦ مرة فى هذه السورة فى الآيات : ١—٢ — ٦ — ٨ — ١١ — ٣٥ — ٥١ — ٥٤ — ٥٧ — ٨٧— ٩٠ — ٩٤— ٩٥ — ١٠١ — ١٠٥ — ١٠٦ ، وقد بلغ بذلك معدل التكرار المطلق.

★

روابط أخرى :

١ — « **يا أيها الرسول** » وقد ذكر مرتين فى الآيتين : ٤١ — ٦٧ ، ولم يذكر فى غيرها من سور القرآن ، فبلغ بذلك معدل التكرار المطلق .

٢ — « **لله ملك السموات والأرض** » وقد ذكر ٣ مرات فى الآيات : ١٧— ١٨ —١٢٠ ، وبلغ معدل التكرار المطلق .

٣ — « **لبئس** » وقد ذكر ٤ مرات فى الآيات : ٦٢ —٦٣— ٧٩—٨٠، وبلغ معدل التكرار المطلق .

إن العلامة تنبه المؤمنين إلى حسن الإنصات للخطاب الإلهى الذى يصلهم كثيراً فى هذه السورة، وحق لهم أن يفرحوا للعناية الإلهية بهم ، ولهم أن يفرحوا كذلك لأن فى هذه السورة نزلت آية قال عنها اليهود لعمر : إنكم تقرءون آية فى كتابكم ، لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيداً . قال : وأى آية ؟ قال : قوله « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى » . فقال عمر : والله إنى لأعلم اليوم الذى نزلت فيه على رسول الله صلى الله عليه وسلم والساعة التى نزلت فيها على رسول الله صلى الله عليه وسلم : عشية عرفة فى يوم جمعة .

لقد نزلت آية كمال الدين وتمام النعمة فى حجة الوداع .

★

والآن — نقف لنعود إلى الوراء قليلا فننظر الشكل المبين فى صفحة ٢١ ، فنجده يمثل مخططا لروايط هذه السورة ، سورة المائدة . وهنا نلاحظ شدة تداخل الأسوار الفرعية فى المنطقة من الآيات رقم ٤١ إلى رقم ٨٠ ، حيث يمكن القول بأن جدار سور « حديقة سورة المائدة » سميك هنا أكثر منه فى المناطق الأخرى .

إن هذا يعنى — بداهة — ضرورة الحفاظ بشدة على تعاليم هذه الآيات ، وعدم السماح بهجرها ، وإلا فلا إسلام ...

لقد نزلت سورة العصر فى ثلاث آيات قصار تقول :

« والعصر . إن الإنسان لفى خسر . إلا الذين آمنوا ، وعملوا الصالحات ، وتواصوا بالحق ، وتواصوا بالصبر » .

لكن هذه السورة على قصرها فيها جماع الأمر كله ، حيث تبين الآية الثالثة والأخيرة منها – الطريق الوحيد لسعادة الإنسان فى الدنيا والآخرة .

ولقد علم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أصحابه فضل هذه السورة ، فكان الرجلان من أصحابه « إذا ألتقيا لم يفترقا إلا على أن يقرأ أحدهما على الآخر سورة العصر إلى آخرها ، ثم يسلم أحدهما على الآخر » وقال الشافعى : « لو تدبر الناس هذه السورة ، لوسعتهم » .

كذلك قال ابن مسعود : إن أجمع آية فى القرآن فى سورة النحل : « **إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ، يعظكم لعلكم تذكرون** » – ٩٠

وقياسا على ذلك نقول : إذا كان المسلم مطالبا بالسير فى كل حين وفق ما تقوله آيات القرآن العظيم والسنة النبوية الصحيحة ، فإنه مطالب كذلك بالتمسك – بشدة – بكل التعاليم الإلهية التى نجدها فى الآيات من رقم ٤١ إلى رقم ٨٠ من سورة المائدة .

وأحيل القارى إلى « كتاب الله » ليقرأ هذه الآيات التى يكفينا هنا أن نذكر بعض ما تشتمل عليه :

١ – الدين الحق هو الذى يقوم على عبادة الله ، الواحد الأحد المنزه عن الشريك والولد . ولقد ذكر القرآن فى سورة البقرة : « **إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين ، من آمن**

بالله واليوم الآخر وعمل صالحا، فلهم أجرهم عند ربهم ولاخوف عليهم ولا هم يحزنون » — ٦٢ ، وذكر مثل ذلك فى سورة المائدة هذه — الآية ٦٩ — ولكن حتى لا تكون هناك أدنى فرصة للخلط بين العقائد المنحرفة ودين الله الحق ، فقد حسم القرآن هذه القضية حسما لا يسمح لأى دعى غير مسلم لله أن يقحم نفسه فى زمرة المؤمنين ، فقال بكل وضوح :

« **لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم، وقال المسيح يابنى إسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم ، إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار ، وما للظالمين من أنصار » — ٧٢**

« **لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة ، وما من إله إلا إله واحد ، وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم » — ٧٣**

٢ — ضرورة الحكم بما أنزل الله ، وإلا دخل الذين يصدون عن ذلك فى زمرة : الكافرين — والظالمين — والفاسقين . وفى هذا تقول الآيات :

« **ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون » — ٤٤**

« **ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون » — ٤٥**

« **ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون » — ٤٧**

٣ — آية من آيات التحدى بالغيب — والتى صارت بالنسبة لنا عين اليقين بعد أن تحققت تماما — فقد أعلنت عصمة الله لرسوله من الناس ، فلاخوف عليه وليبلغ دعوته وهو آمن :

« يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك ، وإن لم تفعل فما بلغتَ رسالته ، والله يعصمك من الناس ، إن الله لا يهدى القوم الكافرين » — ٦٧

★★

لقد كان هذا بعض ما استبان لنا من دراسة روابط سورة المائدة على ضوء « نظرية وحدة السورة » ، وهو بعض من كل لا يعلمه إلا الله .

★★★

(٥) ســورة الأنعام

الآية : « الحمد لله الذى خلق السموات والأرض ، وجعل الظلمات والنور ، ثم الذين كفروا بربهم يعدلون » — ١

العلامة : « جعل الظلمات والنور » .

لقد جاء الحديث عن : جعل الظلمات والنور ، فى هذه السورة مرتين فى الآيتين : ١—١٢٢ ، وبلغ معدل التكرار المطاق .

وهذا شىء مختلف عن الحديث عن : إخراج (الناس) من الظلمات إلى النور .

روابط أخرى :

١ – « **جعل** » وقد تردد هذا الفعل ومشتقاته فى هذه السورة ١٩ مرة فى الآيات : ١–٦–٩–٢٥–٣٩–٩١– ٩٦–٩٧–١٠٠–١٠٧–١١٢–١٢٢–١٢٣–١٢٤–١٢٥–١٣٦–١٦٥، وبلغ معدل التكرار المطلق .

٢ – « **وكذلك جعلنا . . كل** » : وقد ذكر مرتين فى الآيتين : ١١٢–١٢٣ ، وبلغ معدل التكرار المطلق .

٣ – « **قل أرأيتكم** » وقد ورد مرتين فى الآيتين : ٤٠– ٤٧ ، ولم يذكر فى غير هذه السورة ، فبلغ معدل التكرار المطلق .

٤ – « **بربهم يعدلون** » وقد ورد هذا الرباط مرتين فى الآيتين : ١ – ١٥٠ ، ولم يذكر فى غير هذه السورة ، فبلغ معدل التكرار المطلق .



وتعطينا سورة الأنعام أمثلة رائعة لبديع القول لفظا ومعنى مثل :

– « وهم ينهون عنه وينئون عنه » – ٢٦

– « والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه » – ٩٩

– «ويوم نحشرهم جميعاً» –٢٢ ، «ويوم يحشرهم جميعاً» –١٢٨

ونظراً لأن سورة الأنعام بدأت بالحديث عن « الظلمات » فقد كانت من أكثر سور القرآن حديثا عن الظلم ومشتقاته ، لم يسبقها فى ذلك إلا سورة البقرة .

وصدق رسول الله إذ يقول : « الظلم ظلمات يوم القيامة » . ولما كان الشرك يعتبر بحق أعظم ظلم يقترفه الإنسان ، فقد جاءت سورة الأنعام بآياتها ذات الحجة البالغة لتبطل مزاعم المشركين ، وتجلو البصائر لكى ترى نور التوحيد .

★★★

(٦) سورة الأعـراف

الآية : « كتاب أنزل إليك فلا يكن فى صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين » — ٢

العلامة : « فى صدرك » .

لقد جاء الحديث عما فى الصدر أو الصدور فى الآيتين ، ٢ — ٤٣ ، وبلغ معدل التكرار المطلق .



روابط أخرى :

١ — « **يا بنى آدم** » وقد تردد فى هذه السورة ٤ مرات فى الآيات : ٢٦ — ٢٧ — ٣١ — ٣٥ ، وبلغ معدل التكرار المطلق .

ويلاحظ أن هذه السورة أكثر سور القرآن حديثا عن « بنى آدم » فقد ورد هذا التعبير فى الآية ١٧٢ ، بالإضافة إلى الآيات السابقة .

كذلك يتردد إسم آدم فى هذه السورة أكثر من أى سورة أخرى ، وذلك فى الآيات : ١١ – ١٩ ، بالإضافة إلى جميع الآيات التى ذكر فيها هذا الرباط .

٢ – « **الشيطان** » وقد ذكر فى هذه السورة ٦ مرات فى الآيات : ٢٠ – ٢٢ – ٢٧ – ١٧٥ – ٢٠٠ – ٢٠١ ، فكانت من أكثر سور القرآن ذكراً لهذا الإسم الملعون ، لم يسبقها فى ذلك إلا سورة النساء التى ذكر فيها الشيطان ٧ مرات .

على أن هناك ثلاث سور تساوى فيها ذكر الشيطان ومشتقاته ، وهى : البقرة – النساء – الأعراف ، فقد بلغ مجموعه فى كل منها ٨ مرات .

٣ – « **استكبروا** » وقد ذكر هذا الرباط ٦ مرات فى الآيات : ٣٦ – ٤٠ – ٧٥ – ٧٦ – ٨٨ – ١٣٣ ، وبلغ معدل التكرار المطلق .

وقد ذكرت مشتقات هذا اللفظ – التى تعنى التكبر بغير الحق – ١٠ مرات فى الآيات : ١٣ – ٤٨ – ١٤٦ – ٢٠٦ ، بالإضافة إلى الآيات السابقة ، وبلغت معدل التكرار المطلق .

٤ — « **الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها** » : وقد ورد هذا التعبير مرتين فى الآيتين : ٣٦ — ٤٠ ، ولم يذكر فى غير هذه السورة ؛ فبلغ معدل التكرار المطلق.

وقد ذكر : « كذبوا بآياتنا » فى هذه السورة ١٠ مرات فى الآيات : ٦٤ — ٧٢ — ١٣٦ — ١٤٦ — ١٤٧ — ١٧٦—١٧٧ — ١٨٢ ، بالاضافة إلى الآيتين السابقتين ، وبلغ معدل التكرار المطلق .

كما ذكر : « كذبوا » فى هذه السورة ١٤ مرة فى الآيات : ٩٢ — ٩٦ — ١٠١ ، بالاضافة إلى جميع آيات الرباط رقم ٤ ؛ وبلغ معدل التكرار المطلق .

٥ — « **يهدون بالحق وبه يعدلون** » وقد ورد هذا الرباط مرتين فى الآيتين : ١٥٩ — ١٨١ ، ولم يذكر فى غير هذه السورة فبلغ معدل التكرار المطلق .



لقد بدأت وقائع الخطيئة الأول باستكبار إبليس وتحوله إلى شيطان ، ثم وسوسته لآدم ، وما كانت تلك الوسوسة إلا شيئا نفثه الشيطان فى صدر آدم .

من أجل ذلك جاءت هذه السورة — كما وضح الآن — لتكون أكثر سور القرآن حديثا عما فى الصدر ، والاستكبار ، والشيطان ،

وآدم وبنيه ، والذين كذبوا بآيات الله ، مع ذكر للبقية الصالحة، الذين خلقهم الله « **يهدون بالحق وبه يعدلون** »ولا يزالون« **ينهون عن الفساد فى الأرض** » ، ويسارعون فى الخيرات « **حتى يأتى وعد الله** » .

ولعل سورة الأعراف من أكثر السور تحذيرا لبنى آدم من الشيطان ، فقد جاء فيها :

« **يا بنى آدم : لايفتننكم الشيطان ، كما أخرج أبويكم من الجنة ، ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما ، إنه يراكم هو وقبيله من حيث لاترونهم** » — ٢٧

ثم كانت هى السورة الوحيدة التى بينت صراحة إمكانية تعرض المتقين — وهم طائفة متميزة من المؤمنين — لوساوس الشيطان ، إلا أنهم لايلبثون سوى لحظة أو لحظات يعودون بعدها إلى سابق طهرهم ونقائهم :

« **إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا ، فاذا هم مبصرون** » — ٢٠١

وكانت هى السورة الوحيدة التى ذكرت قصة ذلك العبد الصالح الذى آتاه الله رحمة منه وعلما من لدنه ، حتى قيل فيه : كان إذا نظر رأى العرش ، لكنه مالبث أن استهواه الشيطان ، فصار مثل سوء للعالمين :

« واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين . ولو شئنا لرفعناه بها ، ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه ، فمثله كمثل الكلب ، إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ، ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا، فاقصص القصص لعلهم يتفكرون»–١٧٥، ١٧٦.

وكان طبيعيا أن تكون سورة الأعراف أول سورة تحدثنا – وفق ترتيبها فى المصحف – حديث العظة والاعتبار بما تقصه تفصيلا من أنباء السابقين الذين كذبوا بآيات الله واستكبروا عنها. فلقد روت هذه السورة قصص قوم نوح ،وعاد ، وثمود، وقوم لوط ، وأصحاب مدين ، وفرعون وحاشيته ، وكيف استجابوا للشيطان ، فحقت عليهم كلمة العذاب :

« تالله لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك ، فزين لهم الشيطان أعمالهم فهو وليهم اليوم ولهم عذاب أليم » . (النحل : ٦٣)

« وزين لهم الشيطان أعمالهم ، فصدهم عن السبيل ، وكانوا مستبصرين » . (العنكبوت : ٣٨)

إن سعادة الإنسان وشقائه– فى الدنيا والآخرة– مرتبطة تماما بما يحاك فى صدره ، وما تنفعل به نفسه ، وهنا جاء التناسق تاما فى بدء سورة الأعراف بالحديث عما فى الصدر ، ثم ختما بالحديث عن النفس ، وكيف تخلص هى الحديث مع الله ، وحديثها ذكرها .

« واذكر ربك في نفسك ، تضرعا وخيفة ، ودون الجهر من القول ، بالغدو والآصال ، ولا تكن من الغافلين ».
(الأعراف ٢٠٥)

★★★

(٧) سورة يونس

الآية : « أكان للناس عجبا أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم ، قال الكافرون إن هذا لساحر مبين » —٢

العلامة : الهمزة في كلمة « أكان » .

من المعلوم أن الهمزة تأتي على رأس قائمة أدوات الاستفهام التي منها : هل — ما — من — أين — أنى .. ، وأن أدوات الإستفهام يمكن أن تخرج عن معناها الأصلي — وهو الاستفهام — إلى معاني أخرى مجازية مثل : التعجب ، والإنكار ، والتوبيخ ، والتهكم ، والتحقير ، والتكذيب ، والاستبعاد ، والتقرير .. ، وأن هذا الاستخدام لأدوات الاستفهام غالب في القرآن .

ولقد تبين بالإحصاء أن سورة يونس أكثر سور القرآن استخداماً للهمزة ، فقد استخدمت فيها ٢٨ مرة .

وبلغت معدل التكرار المطلق ، يليها فى ذلك سورة النحل التى تلاحقها فى استخدام الهمزة كأدة للاستفهام .

وقد جاء استخدام الهمزة للاستفهام فى سورة يونس كالآتى :

« أكان» — ٢	« أفلا » — ٣ ، ١٦ ، ٣١
« أتنبؤن » — ١٨	« أمن » — ٣١ ، ٣٥
« أفمن » — ٣٥	« أم » — ٣٨
« أفأنت » — ٤٢ ، ٤٣ ، ٥٩	« أثم » — ٥١
« ءآلان » — ٥١ ، ٩١	
« أرأيتم » — ٥٠ ، ٥٩	« أحق » —٥٣
« ألا » — ٥٥،٥٥،٦٢،٦٦	« ءآلله » — ٥٩
« أتقولون » — ٦٨ ، ٧٧	« إن » — ٦٨
« أسحر » — ٧٧	« أجئتنا » —٧٨

★

روابط أخرى :

١ — « **الذين لا يرجون لقاءنا** » وقد ذكر هذا الرباط مرتين فى الآيتين : ٧ — ١١ ، وبلغ معدل التكرار المطلق .

٢ — « ءالآن » ، وقد ذكر هذا اللفظ مرتين — كما سبق بيانه عند اعتبار الهمزة فقط كأداة للاستفهام — وقد تفردت به هذه السورة ، فبلغ معدك التكرار المطلق .

٣ – « **مسلمين** » وقد ذكر ٣ مرات فى الآيات : ٧٢ – ٨٤ – ٩٠ ، وكان أكبر تردد لهذا الإسم فى سورة النمل ،حيث ذكر فيها ٤ مرات ، يليها سورة النحل التى ذكر فيها مرتين ، ثم سور أخرى ذكر فى كل منها مرة واحدة .

أما كلمة « مسلمون » فقد جاء أكبر تردد لها فى السور كالآتى : ٥ فى آل عمران ، ٤ فى البقرة ، ثم مرة واحدة فى سور أخرى .

٤ – « **إن كنت فى شك** » وقد جاء هذا الرباط مرتين فى الآيتين : ٩٤–١٠٤ ، حيث ذكر فى الأولى بهذا النص ، ثم ذكر فى الثانية بنص يقول : « إن كنتم فى شك » . وقد بلغ معدل التكرار المطلق .

ومن الملاحظ : أن هناك تآلفا خاصا بين سورتى : يونس والنمل ، يتمثل فى الآتى :

– تفردت كل منهما بذكر كلمة : « ءآلله » التى جاءت فى آيتين مماثلتين بل ولهما نفس الرقم وهو ٥٩ :

« **قل : أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا ، قل: ءآلله أذن لكم ،أم على الله تفترون** ».

(يونس : ٥٩)

« قل : الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ، ء آلله خير أما يشركون» — النمل : ٥٩

— جاءت سورة النمل تالية لسورة يونس مباشرة فى استخدام الهمزة كأداة للاستفهام ، مع ملاحظة أنهما لو تساويتا فى عدد مرات استخدام الهمزة ، لكان الترجيح لسورة يونس ، وذلك لأن الهمزة التى جاءت فيها كرباط رئيسى — أو علامة — قد وقعت فى مطلعها ، بل فى أول الآية الثانية منها ، على حين جاءت الهمزة كأداة استفهام فى سورة النمل ابتداء من الآية ٢٠ ، أى بعد إنقضاء خمسها الأول .

— وجاءت سورة يونس تالية لسورة النمل مباشرة فى ترديد كلمة « مسلمين » .

— كذلك افتتح كلاهما بما يعرف بالحروف الغامضة .



وجدير بالذكر أن سورة يونس قد تفردت بذكر كلمة : « إى » ، وهى تعنى : نعم ، ويلاحظ أنها ترتبط بالهمزة أيضاً .

★

إن العلامة فى سورة يونس تهدينا إلى توقع حديث أغلبه ملىء بالاستفهام الإنكارى لأفكار المكذبين بالوحى للنبى ، وما هم فيه من ضلال ، سواء المعاصرين منهم أو السابقين . وهم الذين جاء فيهم أصدق حديث يقول :

« كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا : ساحر أو مجنون . أتواصوا به ، بل هم قوم طاغون »
(الذاريات : ٥٢-٥٣)

★★★

هذا - وبعد أن رأينا كيف صدقت « نظرية وحدة السورة » مع المطول من سور القرآن العظيم ، فإننا نتقدم الآن خطوة أخرى لنرى إلى أى مدى يمكن أن تصدق هذه النظرية مع غيرها من سورة القرآن .

ومن الطبيعى أن نبدأ بالحديث عن سورتى الأنفال والتوبة ، لتكتمل بذلك السلسلة بدءا من سورة البقرة إلى سورة التوبة ، ثم نتبع ذلك بدراسة عدد آخر من السور كثيرة العدد من الآيات .

★★★

(٨) سورة الأنفال

الآية : « يسئلونك عن الأنفال ، قل الأنفال لله والرسول ، فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم . وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين » - ١ .

العلامة : « لله والرسول » .

لقد جاء الحديث عما : لله والرسول ، فى هذه السورة مرتين ، وذلك فى الآيتين : ١ - ٤١ ، وبلغ معدل التكرار المطلق .

كما نبهنا فى سورة الأنعام إلى أن الحديث عن : جعل الظلمات والنور شيء مختلف عن الحديث عن : إخراج (الناس) من الظلمات إلى النور ، فانا نعيد التذكرة هنا لنعلم أن الحديث عما : « لله والرسول » يتعلق — لغة — بالحديث عن ملكية شيء ، وهو شيء مختلف تماما عن الحديث عما يتعلق بالله ورسوله من أشياء أخرى مثل : الإيمان والطاعة والحب . ..وخلاف ذلك من : الكفر والعصيان والعداوة ... الخ ؛ كما فى الآيات :

« إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ، ثم لم يرتابوا ...»
(الحجرات : ١٥)

« وأطيعوا الله ورسوله » (الأنفال : ١)

« ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله ... » (التوبة : ٨٠)

« إن الذين يحادون الله ورسوله ، أولئك فى الأذلين »
(المجادلة : ٢٠)

★

روابط أخرى :

١ — « **غنمتم** » وقد ورد هذا اللفظ مرتين فى الآيتين : ٤١ — ٦٩، ولم يذكر فى غيرها من السور ، فبلغ بذلك معدل التكرار المطلق .

٢ — « **أسرى** » وقد ورد مرتين فى الآيتين : ٦٧ — ٧٠ ولم يذكر فى غيرها من سور القرآن ، فبلغ بذلك معدل التكرار المطلق .

٣ — « **خيانة** » وقد انفردت هذه السورة بذكر هذا اللفظ مرتين فى الآيتين : ٥٨ — ٧١ ، فبلغ معدل التكرار المطلق .

كما ذكرت مشتقات هذا اللفظ ٤ مرات فى هذه السورة فى الآيات : ٢٧ — ٥٨ — ٧١ — فبلغ اللفظ ومشتقاته معدل التكرار المطلق .

٤ — « **فتنة** » وقد ذكر هذا اللفظ ٤ مرات فى الآيات : ٢٥ — ٢٨ — ٣٩ — ٧٣ وبلغ معدل التكرار المطلق .

*

لقد جاءت العلامة فى سورة الأنفال لتهدينا إلى حديث ملكية عما« لله والرسول » ، ثم تبعتها روابط أخرى تتحدث عن الغنائم ، والأسرى ، وما يختلط بالمواقف الصعبة فى الحرب من فتنة وخيانة ، فجاءت بذلك روابط السورة كلها متكاملة .

***

(٩) سورة التوبة

الآية : « براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين » — ١

العلامة : « الله ورسوله » .

وبالإشارة إلى ما جاء فى الحديث عن العلامة فى سورة الأنفال ، نجد أن العلامة فى هذه السورة تتحدث عن أشياء أخرى غير الملكية وتتعلق بالله ورسوله .

وقد تردد هذا الرباط ٢٢ مرة فى الآيات : ٣ – ٧ – ١٦ – ٢٤ – ٢٩ – ٥٤ – ٥٩ – ٦٢ – ٦٣ – ٦٥ – ٧١ – ٧٤ – ٨٠ – ٨٤ – ٩٠ – ٩١ – ٩٤ – ١٠٥ – ١٠٧ .

روابط أخرى :

١ – « **المشركون** » وقد ذكر مرتين فى الآيتين : ٢٨ – ٣٣ ؛ وبلغ معدل التكرار المطلق .

كذلك تكرر لفظ « المشركين » ٩ مرات فى الآيات : ١ – ٣ – ٤ – ٥ – ٦ – ٧ – ١٧ – ٣٦ – ١١٣ ، وبلغ معدل التكرار المطلق .

٢ – «**النفاق**» وقد تفردت هذه السورة بذكر هذا اللفظ كما فى الآية ١٠١ ، كما أنها كانت أكثر سور القرآن ذكرا لمشتقاته مثل : المنافقين ، والمنافقات ، .. . وذلك فى الآيات : ٦٤ – ٦٧ – ٦٨ – ٧٣ – ٧٧ – ٩٧ – ١٠١ ، حيث ذكر ١٠ مرات ، فذكر اللفظ ومشتقاته ١١ مرة فبلغ معدل التكرار المطلق .

٣ – « **الأعراب** » وقد ذكر ٦ مرات فى الآيات : ٩٠ – ٩٧ – ٩٨ – ٩٩ – ١٠١ – ١٢٠ ، وبلغ معدل التكرار المطلق .

٤ – « **قاتلوا** » وقد تردد ٤ مرات فى الآيات : ١٢ – ٢٩ – ٣٦ – ١٢٣ ، وبلغ معدل التكرار المطلق .

٥ – « **نفر** » وقد تفردت السورة بذكر هذا اللفظ في الآية ١٢٢ ، كما كانت أكثر سور القرآن ذكرا لمشتقاته مثل : تنفروا ، انفروا ... ، وذلك في الآيات : ٣٨ – ٣٩ – ٤١ – ٨١ – ١٢٢ ، حيث ذكرت ٥ مرات فبلغ اللفظ ومشتقاته معدل التكرار المطلق .

٦ – « **فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم ، إنما يريد الله ليعذبهم بها فى الحياة الدنيا ، وتزهق أنفسهم وهم كافرون** » ، وقد ورد هذا الرباط مرتين : الأولى بهذا النص في الآية ٥٥ ، كما ورد بنص قريب منه – يتفق وما قلناه عن الروابط فى البند الثانى من نظرية وحدة السورة – وذلك فى الآية ٨٥ التى تقول : « ولا تعجبك أموالهم وأولادهم ، إنما يريد الله أن يعذبهم بها فى الدنيا ، وتزهق أنفسهم وهم كافرون » . وقد بلغ هذا الرباط معدل التكرار المطلق .

٧ – « **وإذا أنزلت سورة** » وقد تردد ٣ مرات فى الآيات : ٨٦ – ١٢٤ – ١٢٧ ، وبلغ معدل التكرار المطلق .

٨ – « **سيرى الله عملكم ورسوله ، ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة ، فينبئكم بما كنتم تعملون** » وقد تردد هذا الرباط مرتين فى الآيتين : ٩٤ – ١٠٥ ، جاء فى الأولى بهذا النص ، وجاء فى الثانية بنص قريب منه ، وبلغ معدل التكرار المطلق .

إن سورة التوبة التى تبدأ ببراءةمن الله ورسوله إلى المشركين ، تهدينا روابطها — ابتداء من العلامة — إلى ما عليه حال الذين كفروا بالله ورسوله من المشركين ، والذين عصوا الله ورسوله من المنافقين ، فوجب قتالهم والاستنفار ضدهم حتى لا تكون فتنة فى الأرض وفساد كبير . وما أموالهم ولا أولادهم التى أمدهم الله بها فى الدنيا ، إلا استدراج لهم من حيث لا يعلمون . والمؤمنون مطالبون بالعمل المخلص الجاد فى كفاحهم المرير ضد قوى الشرك والنفاق التى تتربص بهم الدوائر فى مختلف العصور والأزمان. فالعمل ضرورة إيمانيه للحفاظ على كيانهم ، والعمل ضرورة لتقديم فروض الشكر لله — سبحانه — أن هداهم للايمان ، كما فى قول الحق : « إعملوا آل داود شكراً ، وقليل من عبادى الشكور ».

★★★

(١٠) سورة هود

الآية : «ألا تعبدوا إلا الله ، إننى لكم منه نذير وبشير » — ٢

العلامة : « ألا تعبدوا إلا الله » .

لقد ذكر هذا الرباط مرتين فى الآيتين : ٢ — ٢٦ ، وبلغ معدل التكرار المطلق .

روابط أخرى :

١ — « **جاء أمرنا** » وقد ذكر ٥ مرات فى الآيات : ٤٠ — ٥٨ — ٦٦ — ٨٢ — ٩٤ ، وبلغ معدل التكرار المطلق .

كذلك تكرر القول : « **جاء أمر ربك** » مرتين فى الآيتين : ٧٦ — ١٠١ ، وبلغ معدل التكرار المطلق .

٢ — « **ألا بعدا** » وقد تردد ثلاث مرات فى الآيات : ٦٠— ٦٨—٩٥ ، كما ذكر قوله : « وقيل بعداً » فى الآية ٤٤ ، وبلغ معدل التكرار المطلق .

٣ — « **أم يقولون افتراه ، قل ..** » وقد تردد مرتين فى الآيتين : ١٣ — ٣٥ ، وبلغ معدل التكرار المطلق .

★

إن سورة هود هى أكثر سور القرآن حديثا عن أمر الله الذى يعنى : «**أخذ ربك ،إذا أخذ القرى وهى ظالمة ، إن أخذه أليم شديد** » كما تقول الآية ١٠٢ — فإما عبادة الله الواحد الأحد ، وإما هلاك سبقه نذير « بين يدى عذاب شديد » .

من أجل ذلك قال سيدنا رسول الله : «شيبتنى هود وأخواتها»:



(١١) سورة يوسف

الآية : نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين » — ٣

العلامة : « أحسن القصص » .

وهو تعبير وحيد فى القرآن اختصت به هذه السورة ، وجاء لفظ القصص فيها مرتين فى الآيتين : ٣ – ١١١ ، وبلغ معدل التكرار المطلق .

ومن الملاحظ أن كلمة القصص وردت فى القرآن مرة واحدة فى كل من سور : آل عمران ، والأعراف ، والقصص .

روابط أخرى :

١ – « **قال بل سولت لكم أنفسكم أمراً ، فصبر جميل** » وقد ورد هذا الرباط مرتين فى الآيتين : ١٨ – ٨٣ ، وبلغ معدل التكرار المطلق .

٢ – « **تالله** » وقد تردد هذا الرباط ٤ مرات فى الآيات : ٧٣ – ٨٥ – ٩١ – ٩٥ ، وبلغ معدل التكرار المطلق .

٣ – « **نستبق** » وقد جاء هذا اللفظ ومشتقاته فى الآيتين : ١٧ – ٢٥ وبلغ معدل التكرار المطلق .

٤ – « **ييأس** » وقد ورد هذا اللفظ فى الآية ٨٧ ، كما كانت سورة يوسف أكثر سور القرآن ذكرا لمشتقاته مثل : تيأسوا ، إستيئسوا ، ... ، وذلك فى الآيات : ٨٠ – ٨٧ – ١١٠ ، وبلغ هذا اللفظ ومشتقاته معدل التكرار المطلق .

٥ — « **العليم الحكيم** » ، لقد ذكر هذا الرباط مرتين فى الآيتين : ٨٣ — ١٠٠ ، وذكر مرة « عليم حكيم » فى الآية ٦ ، ويبلغ معدل التكرار المطلق .

لقد جاء فى سورة البقرة قوله : « العليم الحكيم »—« العزيز الحكيم » — «عزيز حكيم » ،وفى سورة الأنعام « الحكيم الخبير »— «حكيم عليم » وفى سورة التوبة : « عليم حكيم »—« عزيز حكيم » .

لكن سورة يوسف هى السورة الوحيدة التى لم تستخدم سوى « العليم الحكيم » بهذا الترتيب .

إن الإجماع تام على أن سورة يوسف هى السورة التى تعطى خير مثال القصة . يقول فتحى رضون فى دراسة شيقة له عن قصة يوسف : « لم يرد فى القرآن الكريم عند ذكر أى من أنبياء الله ، لفظ القصة أو القصص إلا فى سورة يوسف ، وعند بداية حكايته عليه السلام مع أبيه وإخوته . فقد قال الله تعالى . (نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن) ، ثم جاء فى آخر السورة ذاتها : (لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب).

أما فى المواطن الأخرى فقد استعمل القرآن الكريم ألفاظ : حديث ، وأحاديث ، وأنباء ، ونبأ ، وأخبار ، وذكر .

فعن موسى عليه السلام جاء فى سورة طه : (هل أتاك حديث موسى ، إذ رأى نارا ..) ، وفى سورة النازعات : (**هل** أتاك

حديث موسى ، إذ ناداه ربه ..) ، وفى سورة القصص : (نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون) .

وقد استعمل القرآن الكريم لفظ الحديث وأحاديث فى صدد إبراهيم الخليل عليه السلام فى سورة الذاريات : (هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين) ، ثم فى سورة البروج : (هل أتاك حديث الجنود : فرعون وثمود) .

أما لفظ : نبأ ، فقد ورد فى مواضع كثيرة عن أكثر الأنبياء (وغيرهم) ، ففى سورة المائدة : (واتل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق ..) ، وفى سورة الأنعام : (ولقد جاءك من نبأ المرسلين).. وجاء لفظ : أنباء ، فى أكثر من موضع ، من ذلك فى سورة آل عمران : (ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك) .. وفى سورة هود : (وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك) ، وفى سورة الأعراف : (تلك القرى نقص عليك من أنبائها) .

فكيف اتفق أن الحديث عن جميع الأنبياء ــ فيما عدا يوسف عليه السلام ــ فى جميع المواضع من القرآن الكريم ، قد خلا من لفظة : القصص ، فى حين أن هذا اللفظ جاء فى سورة يوسف ، عند افتتاح الحديث عن حكايته عليه السلام ، وفى ختام السورة ؟ ثم كيف نعلل الظواهر الثلاث الآتية :

ـ أن قصة يوسف عليه السلام استأثرت وحدها دون غيرها ، بسورة قائمة برأسها ، فى حين انتثرت أنباء جميع الرسل الآخرين فى العديد من المراضع من القرآن الكريم ، وتوزعت على الكثير من السور .

ـ أن يوسف عليه السلام لم يذكر شيء من أنبائه فى غير سورته ؛ وإن ورد إسمه فى موضع أو موضعين من القرآن (١) ، دون أن يقترن بشيء من وقائع حياته .

ـ أن سورة يوسف كادت تخلو خلوا تاما من إسم أى نبى سواه (٢) .

أليس هذا كله دالا على أن القصة التى وردت فى القرآن ، هى قصة يوسف ، وأن ما عداها إنما كان أحاديث عن الرسل أو أنباء من أنبائهم ؟ ..

ولسنا بحاجة إلى القول بعد ذلك ، أن أنباء الرسل وأحاديثهم ـ وإن لم تأت فى القرآن الكريم فى صورة القصة ، إلا أنها قرآن ،

---

(١) ذكر اسم يوسف فى غير سورة يوسف فى موضعين : « .. ويوسف وموسى وهارون ، وكذلك نجزى المحسنين » ـ الأنعام : ٨٤ ، « ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات » ـ غافر : ٣٤ .

(٢) ذكر فى سورة يوسف أسماء ثلاثة أنبياء ، كما فى قوله : « واتبعت ملة آبائى ابراهيم واسحق ويعقوب » ـ ٣٨ .

من القران ، فهى لذلك وبغير حاجة إلى قول منا ـــ هى ككل القرآن، معجزة لا يلحقها أدب كاتب ولا بيان قاص ، مهما بلغ من القدرة على الكلام ، ومهما أفاء الله عليه من براعة القول وبلاغة العبارة .

وواضح أن ما توافر لقصة يوسف عليه السلام ، لا من حيث إكتمالها فى موضع واحد من القرآن فقط ، الأمر الذى لم يجتمع لغيرها من أنباء الرسل ، بل إن الوقائع اتصلت فيها اتصالا بدأ بمقدمة أحداثها، وانتهى بخاتمتها ، بحيث يستطيع قارئها أو سامعها أن يعرف كل حدث وتطوره ، وكل شخصية ودورها، دون أن يقطع السياق أحداث قصة أو نبأ سواها ، ودون أن يتخللها تعليق طويل على مجرياتها ، يستخلص العبرة منها » (١) .



لقد جاءت العلامة فى سورة يوسف لتهدينا إلى ما نحن مقبلون عليه ، تهدينا لسماع « أحسن القصص » ، فتقدم لنا أجمل نموذج « للقصة» التى اجتمع لبطلها من الجمال الشىء الكثير .. جمال الخلقة وجمال الخلق .



---

(١) الاسلام والمذاهب الحديثة : ص ١٣٥ ـ ١٣٨

(١٢) سورة الأنبياء

الآية: « إقترب للناس حسابهم، وهم فى غفلة معرضون» — ١

العلامة : « معرضون » .

ذكر هذا الرباط ٤ مرات فى الآيات : ١ — ٢٤ — ٣٢ — ٤٢ ، وبلغ معدل التكرار المطلق .

روابط أخرى :

١ ـ « **فاستجبنا له** » ، وقد ذكر ٤مرات فى الآيات : ٧٦— ٨٤—٨٨—٩٠ ، ولم يرد فى غيرها من سور القرآن ، فبلغ معدل التكرار المطلق ...

٢ ـ « **آلهة** » ، وقد وردت هذه الكلمة ٥ مرات فى الآيات : ٢١— ٢٢ — ٢٤ — ٤٣ — ٩٩ ، وبلغت معدل التكرار المطلق .

٣ ـ « **عابدين** » ، وقد تكرر هذا اللفظ ٤مرات فى الآيات : ٥٣ — ٧٣ — ٨٤ — ١٠٦ ، وبلغ معدل التكرار المطلق .



(١٣) سورة الشعراء

الآيـة : « لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين » — ٣

العلامة : « مؤمنين » .

وقد ذكر هذا الربط ١٥ مرة فى الآيات : ٣ — ٨ — ٥١ — ٦٧ — ١٠٢ — ١٠٣ — ١١٤ — ١١٨ — ١٢١ — ١٣٩ — ١٥٨ — ١٧٤ — ١٩٠ — ١٩٩ — ٢١٥ ، وبلغ معدل التكرار المطلق .



روابط أخرى :

١ ـ « **إن فى ذلك لآية ، وما كان أكثرهم مؤمنين . وإن ربك لهو العزيز الرحيم** » ، وقد ورد هذا الرباط ٨ مرات فى الآيات : ٨ ، ٩ — ٦٧ ، ٦٨ — ١٠٣ ، ١٠٤ — ١٢١ ، ١٢٢ — ١٣٩ ، ١٤٠ — ١٥٨ ، ١٥٩ — ١٧٤ ، ١٧٥ — ١٩٠ ، ١٩١ — وقد تفردت به هذه السورة فبلغ معدل التكرار المطلق .

٢ ـ « **كذب .. المرسلين . إذ قال لهم .. ألا تتقون . إنى لكم رسول أمين . فاتقوا الله وأطيعون . وما أسألكم عليه من أجر ، إن أجرى إلا على رب العالمين** » — وقد ورد هذا الرباط ٥ مرات فى الآيات : من ١٠٥ إلى ١٠٩ — من ١٢٣ إلى ١٢٧ — من ١٤١ إلى ١٤٥ — من ١٦٠ إلى ١٦٤ — من ١٧٦ إلى ١٨٠ ، وقد تفردت بـه هذه السورة فبلغ معدل التكرار المطلق .



(١٤) سورة الصافات

الآيـة : « والصافات صفا » — ١

العلامة : « الصافات » .

وقد جاء هذا الرباط مرتين فى الآيتين : ١ — ١٦٥ ، ولما كان لفظ « الصافات » الذى جاء فى الآية رقم « ١ » ، و « الصافون » الذى جاء فى الآية ١٦٥ ، جمعا لكلمة « **صاف** » ، فقد بلغ هذا الرباط معدل التكرار المطلق .



روابط أخرى :

١ — « **فاستفتهم** » وقد ذكر مرتين فى الآيتين : ١١—١٤٩ ، وقد تفردت به هذه السورة ، فبلغ معدل التكرار المطلق .

٢ — « **وإن .. لمن المرسلين** » وقد ذكر ٣ مرات فى الآيات : ١٢٣ — ١٣٣ — ١٣٩ ، وبلغ معدل التكرار المطلق .

٣ — « **وتركنا عليه فى الآخرين . سلام على ... كذلك نجزى المحسنين . إنه من عبادنا المؤمنين** » ، وقد ذكر هذا الرباط ٣ مرات فى الآيات : من ٧٧ إلى ٨٠ — من ١٠٨ إلى ١١١ — من ١٢٩ إلى ١٣٢ — وقد تفردت به هذه السورة فبلغ معدل التكرار المطلق .

٤ — « **إلا عباد الله المخلصين** » وقد ذكر هذا الرباط ٤ مرات فى الآيات : ٤٠ — ٧٤ — ١٢٨ — ١٦٠ ، وبلغ معدل التكرار

المطلق ، ويضاف إلى ذلك ما جاء فى الآية ١٦٩ التى تقول : « لكنا عباد الله المخلصين » .

★★★

(١٥) سورة المؤمنون

الآيـة : « الذين هم فى صلاتهم خاشعون » — ٢

العلامة : « الذين هم .. » .

وقد ورد هذا الرباط ٩ مرات فى هذه السورة ، ست فى مطلعها فى الآيات : ٢ — ٣ — ٤ — ٥ — ٨ — ٩ ، وذلك فى قوله : «**الذين هم** فى صلاتهم خاشعون . **والذين هم** عن اللغو معرضون . **والذين هم** للزكاة فاعلون . **والذين هم** لفروجهم حافظون ... **والذين هم** لأماناتهم وعهدهم راعون . **والذين هم** على صلواتهم يحافظون » .

ثم عاد هذا الرباط ليظهر ثانية فى منتصف السورة فى الآيات : ٥٧ —٥٨— ٥٩ ، وذلك فى قوله : « إن **الذين هم** من خشية ربهم مشفقون . **والذين هم** بآيات ربهم يؤمنون . **و الذين هم** بربهم لا يشركون » .

وقد بلغ هذا الرباط معدل التكرار المطلق .



روابط أخرى :

١ — « **ثم أنشأنا من بعدهم قرنا آخرين** » ، وقد جاء مرتين فى الآيتين : ٣١ — ٤٢ ، مع ملاحظة أن « قرنا » فى الآية ٣١

جاءت « قرونا » فى الآية ٤٢ ، وقد تفردت السورة بهذا الرباط ، فبلغ معدل التكرار المطلق .

٢ — « **قد كانت آياتى تتلى عليكم فكنتم..** » ؛وقد جاء مرتين **فى** الآيتين : ٦٦ — ١٠٥ ، مع ملاحظة أن «قد كانت» فى الآية ٦٦ جاءت «ألم تكن » فى الآية ٤٢ ، وقد بلغ معدل التكرار المطلق .

٣ — « **سيقولون لله** » وقد جاء ٣ مرات فى الآيات : ٨٥ — ٨٦ — ٨٧ ، وهو رباط وحيد تفردت به هذه السورة فبلغ معدل التكرار المطلق .

★★★

(١٦) سورة الفرقان

الآية : « تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا » — ١

العلامة : « تبارك الذى .. » .

وقد ذكر هذا الرباط ٣ مرات،وزعا على أجزاء السورة كالآتى :

المرة الأولى ما جاء فى الآية رقم «١» ، والمرة الثانية قوله : « تبارك الذى إن شاء جعل لك خيراً من ذلك ، جنات تجرى من تحتها الأنهار ، ويجعل لك قصوراً » — ١٠

وأما الثالثة فقوله : « تبارك الذى جعل فى السماء بروجا ، جعل فيها سراجا وقمراً منيرا » — ٦٠

ولم يرد هذا الرباط إلا مرة واحدة فى كل من سورة : الزخرف ، والملك ، فبلغ بذلك معدل التكرار المطلق فى هذه السورة .



روابط أخرى :

١ — « وهو **الذى** .. » : وقد جاء هذا الرباط ٥ مرات فى الآيات : ٤٧ — ٤٨ — ٥٣ — ٥٤ — ٦٢ ، وبلغ معدل التكرار المطلق .

٢ — « **والذين** .. » ، وقد جاء هذا الرباط ٨ مرات فى هذه السورة ؛ منها سبع بنفس النص فى الآيات : ٦٤ — ٦٥ — ٦٧ — ٦٨ — ٧٢ — ٧٣ — ٧٤ ، والثامنة كانت البداية فى الآية ٦٣ ، وهى التى عطفت عليها بقية الآيات ، وبلغ معدل التكرار المطلق .



(١٧) سورة النحل

الآية : « خلق السموات والأرض بالحق ، تعالى عما يشركون » — ٣

العلامة : « خلق » .

وقد ذكر هذا الرباط ٤ مرات فى الآيات : ٣ — ٤ — ٤٨ — ٨١ ، وبلغ معدل التكرار المطلق .

وقد جاء الخلق ومشتقاته ١١ مرة فى كل من سورتى الأعراف والنحل ، فتردد فيهما أكثر من بقية سور القرآن .

★

روابط أخرى :

١ — «**الملائكة**» وقد جاء هذا الرباط ٥ مرات فى الآيات : ٢ — ٢٨ — ٣٢ — ٣٣ — ٤٩

٢ — « **يشركون** » وقد تردد ٣ مرات فى الآيات : ١ — ٣ — ٥٤

٣ — « **ضرب الله مثلا** » ، وقد جاء هذا الرباط ٤ مرات فى الآيات : ٧٥ — ٧٦ — ١١٢ ، وبلغ معدل التكرار المطلق .

★★★

(١٨) سورة الأحزاب

الآية : « يا أيها النبى اتق الله ولاتطع الكافرين والمنافقين، إن الله كان عليما حكيما » — ١

العلامة : « يا أيها النبى » .

وقد جاء هذا الرباط **٥ مرات فى** الآيات : ١ — ٢٨— ٤٥ — ٥٠ — ٥٩ ، وبلغ معدل التكرار المطلق .

★

روابط أخرى :

١ — « **يا نساء النبى** » ، وقد ذكر هذا الرباط مرتين فى الآيتين : ٣٠ — ٣٢ ، وتفردت به هذه السورة ، فبلغ معدل التكرار المطلق .

٢ — « **الأحزاب** » ، وقد ذكر ٣ مرات فى الآيتين : ٢٠ — ٢٢ ، وبلغ معدل التكرار المطلق .

لقد جاءت سورة الأحزاب أكثر سور القرآن ترديداً لكلمة : الأحزاب ، فجاءت تسميتها مطابقة لواقع الحال .

★

إن ما جاء فى سورة الأحزاب التى استفتحت بالنداء الإلهى : « يا أيها النبى » ، يذكرنا بما جاء فى سورة المائدة التى استفتحت بالنداء الإلهى : « يا أيها الذين آمنوا » والذى جاء فى كل منهما : « علامة » فتردد فيهما أكثر من بقية سور القرآن .



(١٩) سورة النور

الآية : « سورة أنزلناها ، وفرضناها ، وأنزلنا فيها آيات بينات ، لعلكم تذكرون » — ١

العلامة : « آيات بينات » .

وقد ورد هذا الرباط ٣ مرات فى الآيات : ١ —٣٤ — ٤٦ ، وبلغ معدل التكرار المطلق .

★

روابط أخرى :

١ — « **نور** » ، وقد جاء هذا الاسم الذى تصبو إليه الأرواح ، ٧ مرات فى آيتين اثنتين فقط هما : ٣٥ — ٤٠ ، فنحن أمام نور مركز تركيزاً عالياً . وقد بلغ هذا الرباط معدل التكرار المطلق .

٢ — « **الأبصار** » ، وقد ذكر ٣ مرات فى الآيات : ٣٧ — ٤٣ — ٤٤ ، وبلغ معدل التكرار المطلق .

٣ — « **ولولا فضل الله عليكم ورحمته** » ، وقد ذكر هذا الرباط ٤ مرات فى الآيات : ١٠ — ١٤ — ٢٠ — ٢١ ، وبلغ معدل التكرار المطلق .

٤ — « **يبين الله لكم الآيات** »، وقد ذكر ٣ مرات فى الآيات : ١٨ — ٥٨ — ٦١ ، وبلغ معدل التكرار المطلق .

★

لقد جاء اسم سورة النور متفقاً ومحتواها ، حيث امتلأت بإسم : النور ، أكثر من أى سورة أخرى من سور القرآن العظيم. ولما كان كل حديث عن النور لا يعنى بالضرورة ذلك النور الذى يحسه البصر، لكن الأهم منه ذلك النور الذى تحسه بصيرة الإنسان، فلهذا ترددت كلمة : الأبصار ، فى سورة النور أكثر من غيرها من سور القرآن . وحين لا تعمى الأبصار فإنها تدرك أن آيات الله كلها بينات .

★★

والآن — نقف قليلا لنراجع الموقف ، فنجد أن ما اصطلحنا على تسميته « بنظرية وحدة السورة » قد صدق قياسها على السور الطوال كثيرة العدد من الآيات. لقد بلغت جملة السور التى درسناها حتى الآن ١٩ سورة ، تمثل — بحساب الآيات — نحو ٤٣ ٪ من جملة آى القرآن ، كما تمثل — بحساب الألفاظ — نحو ٤٩ ٪ من مجموع ألفاظ القرآن العظيم . ومن الملاحظ أننا لم نستخدم معدل التكرار النسبي لأى من هذه السور ، فلقد كان تردد العلامة فى كل منها مطلقاً .

ونكتفى بهذا القدر الآن ، على أن يترك استكمال دراسة بقية السور الأخرى كثيرة العدد من الآيات لفرصة أخرى قد تتاح

قريباً لى أو لغيرى ، وفى هذه الحالة الأخيرة تجدر الإشارة إلى عدد من هذه السور وروابطها الرئيسية التى اصطلح على تسميتها بالعلامات . ومن هذه السور :

— **سورة إبراهيم** : « الٓر ، كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد» — ١

علامتها : « **لتخرج .. من الظلمات إلى النور** » .

— **سورة الإسراء** : « وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبنى إسرائيل ، ألا تتخذوا من دونى وكيلا » — ٢

علامتها : « **وكيلا** » .

— **سورة طه** : « ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى » — ٢

علامتها : « **تشقى** » .

— **سورة الحج** : « يا أيها الناس : اتقوا ربكم ، إن زلزلة الساعة شىء عظيم » — ١

علامتها : « **يا أيها الناس** » .

ولا يمكن الصمت الآن ، فلابد من تذكرة بما سبق ، وهو أن آيات النداء الإلهى التى بدأت بها بعض سور القرآن — وقد

سبق الحديث عن سورتى المائدة ، والأحزاب — قد استفتحت بها هذه السورة أيضاً ، وذلك كعلامة تشد انتباهنا إلى محتواها .

— **سورة العنكبوت** : « ولقد فتنا الذين من قبلهم ، فليعلمن الله الذين صدقوا ، وليعلمن الكاذبين » — ٢

علامتها : **لام التوكيد فى قوله** : « **ليعلمن** » .

ويذكرنا هذا بالهمزة ، التى جاءت علامة فى سورة يونس .

هذا — وحين تضاف هذه السور إلى ما سبق دراسته ، فإنها جميعاً تمثل نحو ٤٧ ٪ من جملة آى القرآن ، كما تمثل نحو **٥٥** ٪ من جملة ألفاظه .



بقى أن أقرر شيئاً عن بدء ملاحظة « وحدة السورة» على أسس من الروابط التى تكرر نفسها ، فأقول أن الفضل فى **ذلك** يرجع إلى **سورة الرحمن** ، التى تتميز برباطها القوى الصداح ، وهو : « فبأى آلاء ربكما تكذبان » وهو الذى تردد فيها **٣١** مرة بين آياتها التى تبلغ ٧٨ آية ، ثم تليها **سورة المرسلات** ، التى تردد رباطها : « ويل يومئذ للمكذبين» ١٠ مرات بين آياتها الخمسين .

★

ولما كانت الدراسات الإحصائية معرضة ــ بحكم طبيعتها التى تقوم على العد والإحصاء ــ لأخطاء ، فإن دراستنا هذه ليست خروجاً عن هذا الاحتمال .

ولكن مهما كان الحال ، فإن ما اتضح لنا بجلاء الآن هو أن تجمع آيات سور القرآن العظيم ، لا يملك لساننا العاجز أن يصفه بأقل من أنه رائع التجميع .

لقد نزلت آيات القرآن متفرقات ، ووفق مسير الأحداث ، منذ نزل الوحى على رسول الله إلى أن لحق بالرفيق الأعلى . وهى قد نزلت تتحدث فى أمور شتى وقضايا مختلفات ، على تنوع فى الأساليب ، وسمو فى البيان ، أقعد العرب عن الوقوف أمامها ، وهم أهل الفصاحة والبيان .

حتى إذا ما اكتمل الدين وتم نزول القرآن ، إذا بنا نجد أن جمع تلك الآيات المتفرقات داخل سورها ، قد تم وفق نظام معجز ، ما كان لبشر ــ لو أراد ــ أن يقدر على شىء من ذلك ، وخاصة فى مطلع القرن السابع الميلادى ، وبين أمة أمية ، وقف عتاتها يحاربون الدعوة الجديدة بالحديد والنار والدم والتجويع .

وحرى بنا أن نذكر هنا قول الله :

« وكذب به قومك ، وهو الحق ، قل : لست عليكم بوكيل ، لكل نبأ مستقر ، وسوف تعلمون » ــ الأنعام : ٦٦ ــ ٦٧

★★★

وحدة المصحف

السورة تجمع ينتظم آيات القرآن العظيم ، والمصحف تجمع ينتظم سوره ، أى يجمعها معا فى ترتيب واتساق . ولقد رأينا – فيما سبق – كيف جاءت آيات القرآن داخل سوره وفق نظام معجز ، ونريد الآن أن نرى كيف جاءت سور القرآن داخل المصحف ، ونتبين أوجه الحكمة فى ترتيب سوره على النحو الذى نراه فيه .

ولسوف نبحث موضوع وحدة المصحف من جانبين ، تيسر اكتشافهما حتى الآن وهما :

جانب موضوعى ، وجانب تركيبى . ومن المؤكد أن ما سيأتى به الغد(١) سوف يكشف عن جوانب أخرى هامة وعظيمة .



الوحدة الموضوعية

يطالعنا فى هذا ما اهتدى إليه السيوطى من أن ترتيب السور فى المصحف قد جاء وفق نظام يقوم على قواعد ، نذكر له منها قاعدتين أساسيتين ، يقول فيهما السيوطى :

---

(١) اقرأ قول الله : « سنريهم آياتنا فى الآفاق ، وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق » – فصلت : ٥٣

١ ـ « إن القاعدة التى استقر بها القرآن : أن كل سورة تفصيل لإجمال ما قبلها ، وشرح له ، وإطناب لإيجازه .

وقد استقر معى ذلك فى غالب سور القرآن، طويلها وقصيرها .

(وكمثال فإن) سورة البقرة قد اشتملت على تفصيل جميع مجملات الفاتحة . .

٢ ـ إذا وردت سورتان بينهما تلازم واتحاد ، فان السورة الثانية تكون خاتمتها مناسبة لفاتحة الأولى للدلالة على الإتحاد »(١) .

وسوف نعرض فيما يلى تطبيقا لنظرية السيوطى ، على خمس فقط من سور القرآن العظيم .

★

١ ـ سورة آل عمران :

يقول السيوطى : « إن أول البقرة افتتح بوصف الكتاب بأنه لا ريب فيه . وقال فى آل عمران : (نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه) ـ ٣ ، وذلك بسط وإطناب لنفى الريب عنه .

ومنها أنه ذكر فى البقرة إنزال الكتاب مجملا ، وقسمه هنا إلى آيات محكمات ومتشابهات لا يعلم تأويلها إلا الله (الآية ٧) .

---

(١) أسرار ترتيب القرآن : ص ٧٨ ، ٨٧

ومنها أنه قال فى البقرة : (وما أنزل من قبلك) — ٣ ، وقال هنا : (وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس) — ٣ ، ٤ ، مفصلا . .

ومنها ، أن ذكر القتال وقع فى سورة البقرة مجملا بقوله : (وقاتلوا فى سبيل الله) — ١٩٠ ، ٢٤٤ ، وقوله : (كتب عليكم القتال) — ٢١٦ ، وفصلت هنا قصة (معركة جبل) أحد بكمالها (الآيات من ١٥٢ إلى ١٥٨) .

ومنها ، أنه قال فى البقرة : (والله يؤتى ملكه من يشاء) — ٢٤٧ ، وقال هنا : (قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شىء قدير) — ٢٦ ، فزاد إطنابا وتفصيلا .

ومنها ، أنه حذر من الربا فى البقرة ، ولم يزد على لفظ الربا إيجازاً ، وزاد هنا قوله : (أضعافا مضاعفة) — ١٣٠ ، وذلك بيان وبسط .

ومنها ، أنه قال فى البقرة : (وأتموا الحج) — ١٩٦ ، وذلك إنما يدل على الوجوب إجمالا . وفصله هنا بقوله : (ولله على الناس حج البيت) — ٩٧ ، وزاد بيان شرط الوجوب بقوله : (من استطاع إليه سبيلا) — ٩٧ ، ثم زاد تكفير من جحد وجوبه بقوله : (ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين) — ٩٧ ... ...

فهذه عدة مواضع وقعت فى البقرة مجملة ، وفى آل عمران تفصيلها .

الوجه الثانى : أن بين هذه السورة (آل عمران) وسورة البقرة إتحاداً وتلاحما متأكداً .. فذكر هناك خلق الناس ، وذكر هنا تصويرهم فى الأرحام (الآية ٦) .

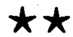
وذكر هناك مبدأ خلق آدم ، وذكر هنا مبدأ خلق أولاده .

وألطف من ذلك أنه افتتح (سورة) البقرة بقصة آدم حيث خلقه من غير أب ولا أم ، وذكر فى هذه (آل عمران) نظيره فى الخلق من غير أب وهو عيسى عليه السلام (الآية ٥٩) ، واختصت البقرة بآدم لأنها أول السور ، وآدم أول فى الوجود وسابق..

ومن وجوه تلازم السورتين أنه قال فى (سورة) البقرة فى صفة النار : (أعدت للكافرين) — ٢٤ ، ولم يقل فى الجنة : أعدت للمتقين ، مع افتتاحها بذكر المتقين والكافرين معا (الآية ٥ ، ٦) ، وقال ذلك فى آخر آل عمران فى قوله : (جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين) — ١٣٣ ، فكأن السورتين بمنزلة سورة واحدة ...

وافتتحت البقرة بقوله : (والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك) — ٤ ، وختمت آل عمران بقوله : (وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم) — ١٩٩

ووقع فى (سورة) البقرة حكاية عن إبراهيم : (ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك) — ١٢٩ ، ونزل فى هذه : (لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته) — ١٦٤ وذلك أيضا من تلازم السورتين »(١) .



٢ — سورة المؤمنون :

« وجه اتصالها بسورة الحج (التى تسبقها مباشرة) أنه لما ختمها بقوله : (وافعلوا الخير لعلكم تفلحون) — ٧٧ ، وكان ذلك مجملا ، ففصله فى فاتحة هذه السورة ، فذكر خصال الخير التى من فعلها فقد أفلح ، فقال : (قد أفلح المؤمنون . الذين هم فى صلاتهم خاشعون .والذين هم ...) الآيات من ١ إلى ٩ .

ولما ذكر فى أول (سورة) الحج قوله : (يا أيها الناس إن كنتم فى ريب من البعث ، فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة) — ٥ ، زاده هنا بيانا فى قوله : (ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين . ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين . ثم خلقنا النطفة علقة، فخلقنا العلقة مضغة ، فخلقنا المضغة عظاما ، فكسونا العظام لحما ، ثم أنشأناه خلقا آخر ، فتبارك الله أحسن الخالقين) الآيات من ١٢ إلى ١٤

---

(١) أسرار ترتيب القرآن : ص ٨٤ — ٨٨

وكل جملة أوجزت هناك فى القصد ، أطنب فيها هنا » (١) .

٣ ـــ سورة النور :

« وجه اتصالها بسورة قد أفلح (المؤمنون، التى تسبقها مباشرة) أنه قال : (والذين هم لفروجهم حافظون) ، ذكر فى هذه (سورة النور) أحكام من لم يحفظ فرجه ، من الزانية والزانى ، وما اتصل بذلك من شأن القذف ، وقصة الإفك ، والأمر بغض البصر ، وأمر فيها بالنكاح حفظا للفروج ، وأمر من لم يقدر على النكاح بالاستعفاف وحفظ فرجه من الزنا، ونهى عن إكراه الفتيات على الزنا »(٢) .



٤ ـــ سورة الشعراء :

«وجه اتصالها بسورة الفرقان (التى تسبقها مباشرة) أنه ـــ تعالى ـــ لما أشار فيها إلى قصص مجملة بقوله : (ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه هارون وزيرا . فقلنا اذهبا إلى القوم الذين كذبوا بآياتنا فدمرناهم تدميرا . وقوم نوح لما كذبوا الرسل أغرقناهم ، وجعلناهم للناس آية ، وأعتدنا للظالمين عذابا أليما. وعادا وثمود وأصحاب الرس ، وقرونا بين ذلك كثيرا) ـ الآيات من

---

(١) المرجع السابق : ص ١١٨
(٢) المرجع السابق : ص ١١٨ ، ١١٩

٣٥ إلى ٣٨ ، شرح هذه القصص وفصلها أبلغ تفصيل في (سورة) الشعراء التي تليها . .

ولما كان في الآيات المذكورة (في سورة الفرقان) قوله : (وقرونا بين ذلك كثيرا) ، زاد في (سورة) الشعراء تفصيلا لذلك قصة قوم إبراهيم ، وقوم لوط ، وقوم شعيب .

ولما ختم (سورة) الفرقان بقوله : (وإذا خاطبهم الجاهلون ، قالوا سلاماً) — ٦٢ ، وقوله : (وإذا مروا باللغو مروا كراماً) — ٧٢ ، ختم هذه السورة بذكر الشعراء الذين هم بخلاف ذلك ، واستثنى منهم من سلك سبيل أولئك ، وبين ما يمدح من الشعر ، ويدخل في قوله : (سلاما) ، وما يذم منه ويدخل في اللغو » (١) .

★★

٥ — سورة العنكبوت :

« وجه اتصالها بما قبلها (وهي سورة القصص) أنه — تعالى — لما أخبر في أول السورة السابقة عن فرعون أنه : (علا في الأرض ، وجعل أهلها شيعا ، يستضعف طائفة منهم ، يذبح

---

(١) المرجع السابق : ص ١٢٠ ، ١٢١

أبناءهم ويستحيي نساءهم) — ٤ ، افتتح هذه السورة بذكر المؤمنين الذين فتنهم الكفار وعذبوهم على الإيمان بعذاب دون ما عذب به قوم فرعون بنى إسرائيل . . حثا لهم على الصبر . ولذلك قال هنا : (ولقد فتنا الذين من قبلهم) — ٣ .

وأيضاً ، لما كان فى خاتمة (سورة) القصص ، الإشارة إلى هجرة النبي صلى الله عليه وسلم (كما فى قوله : إن الذى فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد) ، وفى خاتمة هذه (السورة) الإشارة إلى هجرة المؤمنين بقوله : (يا عبادى : إن أرضى واسعة) — ٥٦ ، ناسب تتاليهما »(١) .

★★

أما بعد : لقد استطاع السيوطى — بفضل الله وبرحمته — أن يقيم البرهان على صدق نظريته التى بينت أن ترتيب سور القرآن يسير وفق نظام ، ترتبط فيه السور ارتباطاً موضوعياً ، كل بما قبلها وما بعدها ، فجاء ذلك واحداً من أفضل البراهين الواقعية — غير التاريخية — على وحدة المصحف . إنه برهان مادى تلمسه الأيدى وتدركه الأبصار وتعيه الآذان الواعية .

حدث ذلك منذ خمسة قرون !

---

(١) المرجع السابق : ص ١٢٣

غفر الله لمن جاءوا بعده وجعلوا مبلغ علمهم: قيل، وقال ... !

ثم قعدوا بكل صراط يوعدون ويصدون كل من حاول تدبر القرآن والنظر « فى ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شىء » على ضوء ما تقدمه علوم العصر ...



الوحدة التركيبية

يتركب العالم المادى من ذرات ، ترتبط معاً لتكون جزيئات ، ومن هذه وتلك جاء بناء المادة فى صورها المختلفة ... بناء يرتبط وفق نظام ، يطالعنا مشهده فى مختلف الصور والتراكيب ...

ويتركب الكلام من أحرف ، ترتبط معا لتكون كلمات ، ومن هذه وتلك يجىء الكتاب ...

ولسوف ننظر فى القرآن : كتاب الله ، لنرى كيف تتراكب فيه الحروف والكلمات ، بعد ذلك لا بد من تقرير يحوى خلاصة ما ارتأيناه .



تراكب الكلمات

حين ننظر فى آيات الله التى يحتويها المصحف ، نجد أن كثيراً من الكلمات التى تتعلق بأخطر الأمور فى حياة الإنسان ــ سواء الفانية منها والباقية ــ قد تراكبت فى كتاب الله وفق نظام خاص ، يكفى ملاحظة وجوده ، قبل أن يلاحظ إعجازه .

وقد اخترت بعضا من هذه الكلمات الحواكم ، أعرضها ملخصة عن دراسة للدكتور **عبد الرزاق نوفل** ، صدرت فى كتابه : الإعجاز العددى للقرآن الكريم .

★

١ ــ **الدنيا والآخرة** :

تكرر لفظ الدنيا فى القرآن الكريم ١١٥ مرة ، وهو نفس المقدار الذى تكرر به لفظ الآخرة فى القرآن ، على الرغم من أنهما لم يجتمعا معاً فى الآية الواحدة إلا نحو ٥٠ مرة ، فى مثل قوله تعالى : « وابتغ فيما آتاك الله الدار **الآخرة** ، ولا تنس نصيبك من **الدنيا** » ــ القصص : ٧٧

★

٢ ــ **الملائكة والشياطين** :

ذكر إسم الملائكة ٦٨ مرة ، وكذلك ذكر إسم الشيطان ٦٨ مرة . وقد تساوت مشتقات اللفظين ، فبلغت لكل منهما ٢٠ مرة . وبذلك بلغ مجموع اللفظ ومشتقاته لكل منهما ٨٨ لفظا .

★

٣ ــ الحياة والموت :

تكرر لفظ الحياة ومشتقاته ــ فيما يخص حياة الخلق ــ ١٤٥ مرة ، وهو نفس العدد الذى تكرر به لفظ الموت ومشتقاته فيما يخص الخلق أو الأحياء .

★

٤ ــ النفع والفساد :

تكرر لفظ النفع ومشتقاته ٥٠ مرة ، وهو نفس العدد الذى تكرر به لفظ الفساد ومشتقاته .

★

٥ ــ الإيمان والكفر :

تكرر لفظ الإيمان ١٧ مرة ، وهو نفس العدد الذى تكرر به لفظ الكفر .

كذلك تساوت مشتقات اللفظ لكل منهما فبلغت ٨ ألفاظ .

وبذلك تساوى عدد مرات ذكر الايمان ومشتقاته ، والكفر ومشتقاته ، فبلغت لكل ٢٥ لفظا .



٦ ــ من أسماء الله الحسنى :

الرحمن : وقد ذكر هذا الإسم الكريم فى القرآن ٥٧ مرة ٥

الرحيم : وقد جاء كأحد أسماء الله الحسنى ١١٤ مرة ، وهذا هو عدد سور القرآن الكريم .

ونقف هنا قليلا لنسجل ملاحظة جديرة بالتأمل والتفكير :

عدد ٥٧ = ١٩ × ٣

العدد ١١٤ = ١٩ × ٦

والذى يطلع على « المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم » الذى وضعه **محمد فؤاد عبد الباقى** ، يجد أن إسم الجلالة — الله — قد جاء فيه هكذا : ذكر الإسم ٩٨٠ مرة بالضم ، و ٥٩٢ مرة بالفتح ، و ١١٢٥ مرة بالكسر ، وبذلك يكون مجموع ذكر هذا الإسم الكريم فى المعجم = ٢٦٩٧ مر .

ولما كان إسم : الله ، أكثر الأسماء ارتباطا بالإسمين : الرحمن ، الرحيم — كان من المتوقع أن يكون مجموع ذكر إسم : الله ، من مضاعفات العدد ١٩

وبمحاولة القسمة على ١٩ ، نجد أنه يحتاج لواحد صحيح — فقط — حتى يصدق هذا التوقع الذى أشارت به تلك الخاصيه التى ظهرت واضحة فى مجموع كل من : الرحمن ، والرحيم .

وبمراجعة « المعجم » مرة أخرى ، وجد أنه أخطأ فى حساب مجموع ذكر الإسم — فى حالة الكسر فقط — إذ بدأ العد من الآية الثانية من سورة الفاتحة وهى :

« الحمد لله رب العالمين » ، وكان عليه أن يبدأ بالآية الأولى ، آية البسملة :

« بسم الله الرحمن الرحيم » ، وهى التى بدأ بها باعتبارها آية عندما كان يحسب عدد مرات ذكر كلمات : بسم ، والرحمن ، والرحيم ، فى القرآن ، مما يؤكد أن الخطأ جاء سهوا .

وعلى ذلك ، فإن عدد مرات ذكر إسم : الله ، فى القرآن الكريم = ٢٦٩٨ مرة وهذا العدد = ١٤٢ × ١٩

وبذلك يجىء ذكر أكثر أسماء الله ترديدا فى القرآن الكريم ـ وفى حياة المسلم اليومية باعتباره مطالب بافتتاح كل أعماله بالبسملة ـ مضاعفات صحيحة للعدد ١٩ .



لكن آية البسملة تتكون من أربع كلمات ، ثلاثة منها جاءت من أسماء الله الحسنى ، وهذه ذكرت فى القرآن الكريم مضاعفات صحيحة للعدد ١٩ ، فهل هذا هو واقع الحال بالنسبة للكلمة الباقية ، وهى كلمة : بسم ؟

إن النظام القرآنى الذى أصبحنا نلمسه بأيدينا ، ليغرينا ببحث هذه النقطة الآن .

ونبدأ البحث بتمهيد لغوى لابد منه ، وذلك نظراً للوضع الخاص بكلمة « بسم » وما يثور حول تركيبها من جدل ، يذكره المفسرون — ومنهم إبن كثير — فيما « يختص بتقدير المتعلق بالباء فى قوله : بسم الله ، هل هو إسم أو فعل متقاربان ، وكل ورد به القرآن . أما من قدره باسم تقديره : باسم الله إبتدائى ، فلقوله تعالى : (وقال اركبوا فيها بسم الله مجريها ومرساها ، إن ربى لغفور رحيم) . ومن قدره بالفعل أمرا أو خبرا نحو ، أبدأ باسم الله ، أو ابتدأت باسم الله ، فلقوله تعالى : (إقرأ باسم ربك الذى خلق) وكلاهما صحيح . فإن الفعل لابد لَه من مصدر ، فلك أن تقدر الفعل ومصدره وذلك بحسب الفعل الذى سميت قبله ، إن كان قياما أو قعودا أو أكلا أو شربا . . فالمشروع ذكر إسم الله فى الشروع فى ذلك كله » .

وفى قوله تعالى : « تبارك اسم ربك ذى الجلال والإكرام » ، قالوا : المتبارك هو الله تعالى ، والجواب أن الإسم معظم لتعظيم الذات المقدسة » (١) .

كذلك يذكر « مختار الصحاح » أن « الرب ، إسم من أسماء الله تعالى ، ولا يقال فى غيره إلا بالإضافة » ، كأن يقال : رب الدار .

---

(١) تفسير ابن كثير .

وبناء على ما سبق عرضه بالنسبة لكلمة « بسم » لغة ومعنى ، كان لزاما علينا حين نذهب إلى القرآن الكريم لنحصى عدد مرات ورود لفظة « الاسم » متعلقة بأى من أسماء الله ، أن نراعى قاعدة بسيطة نصوغها كالآتى :

« الإسم الذى يعنينا هو ماجاء فى غير موضع الفاعل ، ويعتبر نائب الفاعل فى غير موضع الفاعل لكونه أصلا مفعولا به » .

★

بعد ذلك نحصى فى القرآن الكريم :

« بسم الله » — وقد جاء فى : — الفاتحة : ١ ، هود : ٤١ ، النمل : ٣٠ .

« باسم ربك » — وقد جاء فى : — الواقعة : ٧٤ — ٩٦ ، الحاقة : ٥٢ ، العلق : ١

« إسم الله » — وقد جاء فى : — المائدة : ٤ ؛ الأنعام : ١١٨ — ١١٩ — ١٢١ — ١٣٨ ، الحج : ٢٨ — ٣٤ — ٣٦ — ٤٠

« إسم ربك » — وقد جاء فى : — المزمل : ٨ ، الإنسان : ٢٥ ، الأعلى : ١

ومجموع ذلك كله ١٩



وبالإضافة إلى ما سبق ، فإن العدد ١٩ = عدد حروف : بسم الله الرحمن الرحيم .

★

وعلى ذلك فان آية البسملة تتكون من ٤ كلمات ، وردت كل منها فى القرآن الكريم مضاعفات صحيحة للعدد ١٩ ، وهو نفس عدد حروف هذه الآية المباركة التى تملأ على المسلم حياته بالكامل . وهى مضاعفات مركزة لهذا العدد ، كما يتضح من حساب المكافىء العددى لتكرار كلماتها .

فمن المعلوم أن تركيب الكلمات معا لتكون جملة أو تعبرا ما ، يعنى حسابيا عملية جمع أو إضافة ، بدليل أنه فى تعبير مثل : « جو السماء » يقال : جو مضاف والسماء مضاف إليه .

وعلى ذلك يكون المكافىء العددى لتكرار كلمات آية البسملة هو :

١٩ + ٢٦٩٨ + ٥٧ + ١١٤

= ١٩ (١ + ١٤٢ + ٣ + ٦) = ١٩ × ١٥٢ = ٢٨٨٨

= ١٩ × ١٩ × ٨

سبحان الله ... هكذا النظام ...

★

٧ ــ **المسبعات** :

ــ بدأت أخطر عملية فى الكون بخلق السموات والأرض فى ستة أيام . وقد ذكر القرآن هذه الحقيقة **٧ مرات** ، فقال :

« إن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام »
الأعراف : ٥٤

وقال مثل ذلك فى سورة : — يونس : ٣ ، هود : ٧ ،
الفرقان : ٥٩ ، السجدة : ٤ ، ق : ٣٨ ، الحديد : ٤

— كان هذا إجمالا . بدأ القرآن فى تفصيله فبين أن السموات قد انتظمت فى ٧ **طبقات** . وقد ذكر هذه الحقيقة **٧مرات** ، فقال :
« ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات » — سورة البقرة : ٢٩

وقال مثل ذلك فى سور : — الإسراء : ٤٤ ، المؤمنون : ٨٦ ،
فصلت : ١٢ ، الطلاق : ١٢ ، الملك : ٣ ، نوح : ١٥

— هذا فى القرآن : كتاب الله المقروء ... فماذا نجد فى الكون : كتاب الله المفتوح ؟ نجد فيه الضوء — أخطر مؤثر فى حياة الكائن الحى — يتكون من ٧ **ألوان طباقا** تراها العين المجردة فيما يعرف بقوس قزح الذى يظهر فى السماء فى أعقاب جو مطير ، كما تراها فى أى وقت بإستخدام المنشور الزجاجى ثلاثى الأوجه .

ونجد فى الكون : الذرة ، أخطر وحدة بناء للعالم المادى ، وقد توزعت فيها الإلكترونات السابحة فى أفلاكها حول النواة فيما يعرف بمستويات الطاقة — أو **سموات الذرة — وهذه عددها** ٧

– وأخيراً – وليس آخرا – نجد أن الركن الأول والخطير من أركان الإسلام ، قد جاء فى **ألفاظ عددها** ٧ ، تقرر القاعدة البسيطة والخطيرة ، والتى تقول :

لا إله إلا الله ، محمد رسول الله

★★★

ثراء الجذور :

إن التوازن يعنى أشـــياء كثيرة ، من بينها النظام والعدل والجمال ...

وهذا التوازن – أو النظام – الذى رأينا شيئا منه ، فى إستخدام الكلمات الحكيمة فى كتاب الله ، ليس فقط مجرد نظام ، وإنما هو نظام تلازمه خاصية الغنى وسعة العطاء .

فحين ننظر فى المصحف – باعتباره فقط كتابا عربيا – نجد أن نظامه القرآنى قد جاء فيضا يتدفق بين أصول غنية ، وجذور ثرية .

لقد اشترك عدد من علماء اللغة العربية ، والعلوم الطبيعية ، فى مشروع علمى كبير ، يهدف إلى إحصاء وتصنيف ألفاظ القرآن ، باستخدام الحاسب الإلكترونى . ويشرف على هذه الدراسة ، الدكتور **على حلمى موسى** ؛ أستاذ ورئيس قسم الطبيعة

بكلية العلوم بجامعة عين شمس ، والتى ما كان لها أن تتحقق دون إستخدام الحاسبات الإلكترونية .

ولقد أظهرت نتائجها الأولية(١) : أنه باعتبار اللفظ هو ما كان إسما أو فعلا ، فإن عدد ألفاظ القرآن الكريم ، طبقا لهذا التعريف ، هو ٥١٩٢٤ ، منها ٥٥٧ من أسماء الأنبياء ، و ١٦٧ لفظا من أصل رباعى وخماسى ، أما الباقى وجملته ٥١٢٠٠ لفظا فهو من أصل ثلاثى .

وإذا أرجعنا هذه الجذور إلى حرفها الأول ، نتبين أن أكثرها هو ما بدأ بالهمزة مثل : أحد — أرض ، وهذه يبلغ عددها ٨١٧٠ ، يلى ذلك ما بدأ بالحرف : ق ، مثل : قرار — قدر ، وقد بلغت ٤٠٧٩ ، ثم الحرف : ك .

وقد كانت أقل الجذور ترددا فى القرآن الكريم ، تلك التى تبدأ بالحرف : ت ، وعددها ٢٥٣ جذرا .

وحين نصنف ألفاظ القرآن الكريم على حسب الحرف الأول منها ، نجد أن هذه الألفاظ تتفاوت فى عدد مرات ذكرها . ففى الوقت الذى يرد فيه لفظ : إله ، ٢٨٥٠ مرة ، نجد أن ألفاظ

---

(١) نشرت خلاصتها بصحيفة الأهرام بتاريخ ١٩٧٤/٤/٢١ ، ١٩٧٥/٣/٨ .

مثل : أبا – أبق – إرم – أمتا ... قد ورد كل منها مرة واحدة .
وقد بلغ مجموع هذه الألفاظ الوحيدة ٣٢ لفظا .

وإذا رجعنا إلى معجم الصحاح ، والذى يعتبر أدق معاجم اللغة العربية ، نجد أن به ١٨٧ جذرا تبدأ بحرف الهمزة ، ورد منها فى القرآن الكريم ٧٦ جذرا ، أى بنسبة أكبر من ٤٠ ٪ من مجموع جذور هذا الحرف .

كما أن الجذور الثلاثية التى تبدأ بالحرف : س ، والتى يبلغ مجموعها بالمعجم ٢١٨ ، قد جاء منها فى القرآن الكريم ١٠٣ جذرا ، أى بنسبة أكبر من ٤٧ ٪ ولقد قام الحاسب الإلكترونى بحصر الجذور الثلاثية الواردة فى القرآن الكريم ، فبلغت ١٦٤٤ جذرا ، بينما يحتوى المعجم على ٤٨١٤ جذرا ثلاثيا ، وهو مايعنى أن أكثر من ٣٤٪ من الجذور الثلاثية للغة العربية قد جاءت فى القرآن الكريم .

وإذا علمنا أن أى كاتب أو أديب ، مهما بلغت مقدرته الأدبية ، لا يمكنه أن يستخدم أكثر من ٥٪ من اللغة ، لأدركنا على الفور المعنى الإعجازى الذى تبينه نسبة ٣٤ ٪ للجذور الثلاثية التى جاءت فى القرآن الكريم .

بقيت الإشارة إلى طريقة الكتابة مع الحاسب الإلكترونى ، وهى تتلخص فى كتابة كل كلمة جاءت فى القرآن ، على سطرين :

الأول تقع به الحروف الصامتة ، والثانى تقع به حركات الحروف . بعد ذلك تبدأ عملية تثقيب النص القرآنى على بطاقات الحاسب ، ثم يبدأ تشغيل البرنامج .

★★★

تراكب الحروف

جاءت كلمات القرآن وآياته فى المصحف ، وفق نظام لاريب فيه . ولقد ألمحنا سلفا إلى أن تردد الحروف فى القران يجىء وفق نظام ملموس ، ونعرض الآن لشىء من الدراسات الإحصائية التى تبرز حقيقة النظام فى تردد الحروف فى القرآن .

★★

قام الدكتور **رشاد خليفة**(١) بدراسة حول ما يمكن أن تعنيه بعض حروف الأبجدية التى تبدأ بها بعض سور القرآن الكريم مثل : قٓ — يسٓ — ألمٓ — طسٓمٓ ... ، وهى الحروف التى اختلف علماء المسلمين فى تفسيرها ، كما اختلفوا فى تسميتها ، فمنهم من أطلق عليها إسم : الحروف الغامضة ، ومنهم من

---

(١) دكتوراه فى الكيمياء الحيوية من الولايات المتحدة ــ ويعمل مستشارا لاحدى شركات انتاج الأغذية الصناعية فى مدينة سان لويس بولاية ميسورى الأمريكية .

عرفها باسم : الحروف النورانية . . ولم يجمع المفسرون على شيء سوى الاعتراف بأن كل محاولاتهم لكشف خواصها ، أو تلمس معانيها وماعرضوه فى سبيل ذلك من أفكار ، لا يعدو أن يكون ضربا من الحدس والتخمين .

لقد بدأ هذا العالم أبحاثه بعملية إحصاء كبيرة للأحرف الأبجدية فى كل سورة من سور القرآن الكريم ، فأعد ١١٤ مجموعة من الأرقام — بعدد سور القرآن — تضم كل مجموعة منها أرقاما تمثل عدد كل حرف من حروف الأبجدية — وعددها ٢٨ حرفا — فى كل واحدة من سور القرآن .

ولقد نجح الحاسب الإلكترونى فى الكشف عن حقائق مثيرة فى مجال تراكب أحرف القرآن وتوزيعها بين مختلف سوره ، وذلك بعد جهود مضنية استغرقت أكثر من عامين ، وحشود هائلة من العمليات الحسابية التى أجراها الحاسب ، والتى بلغت جملتها نحو **٦٣٠٠٠ مليون مليون مليون مليون عملية حسابية !**

وقد نشر الدكتور رشاد خليفه دراسته هذه فى كتاب صدر فى الولايات المتحدة ، تحت عنوان : **«معجزة القرآن : دلالة الحروف الغامضة** . وكانت مجلة **آخر ساعة** التى صدرت بتاريخ ٢٨ نوفمبر ١٩٧٣ ، أول من أشار إلى هذه الدراسة ، مع حديث جرى بين مندوبها **جميل عارف** ، وهذا العالم المؤمن .

★

ولقد أشارت هذه الدراسة إلى ماهو معلوم من أنه توجد سورتان فى القرآن الكريم تبدأ كل منهما بالحروف : طسم ، يحصران بينهما سورة تبدأ بالحرفين : طس . وهذه السور ضمن المجموعات القليلة من السور التى نزلت متعاقبة ، ثم وضعت فى المصحف متعاقبة أيضاً .

والسور الثلاث هى على الترتيب : الشعراء — النمل — القصص ، ويحمل ترتيبها فى المصحف أرقام : ٢٦—٢٧—٢٨ ، كما أن ترتيبها فى النزول هو : ٤٧ — ٤٨—٤٩— وقد حاول علماء المسلمين على مر السنين ، تفسير غياب الحرف : م ، من فاتحة سورة النمل ،وخرج بعضهم بعدد من النظريات التى لم تقنع أحداً حتى من بين أصحابها . لكن نتائج تحليل عمليات تغذية الحاسب الإلكترونى بمجموعات الأحرف الأبجدية التى تتكون منها السور القرآنية ، قد بينت أن هناك توازنا عجيبا فى توزيع الأحرف داخل سور القرآن . ومن هذه النتائج :

— يوجد فى القرآن **٣٥ سورة** ، تحتوى على الأحرف : ط — س — م ، بنسبة **أقل** من النسبة المئوية لها فى **سورة القصص** .

— بينما يوجد فى القرآن **٣٥ سورة أخرى** — بالضبط —

تحتوى على نسبة مئوية لهذه الأحرف الثلاثة ، **أعلى** من النسبة المئوية لها في **سورة الشعراء .**

– يبلغ مجموع هذه الأحرف : ط – س – م ، فى سورة الشعراء ٦١٥ حرفا ، بينما يبلغ مجموعها فى سورة القصص ٥٨٠ حرفا .

وبعملية حسابية بسيطة نجد أن الفرق بين مجموع هذه الأحرف فى كل من سورتى الشعراء والقصص = ٦١٥–٥٨٠ = ٣٥

وهذا هو نفس عدد السور فوق سورة الشعراء ، وعدد السور تحت سورة القصص ، فيما يتعلق بالنسبة المئوية لتواجد الحروف : ط – س – م ، فى السور القرآنية .

ويحق للدكتور رشاد خليفة أن يعقب على هذه النتائج – التى ذكرنا منها مايتعلق بثلاث سور متعاقبة هى : الشعراء – النمل – القصص ، فيقول صدقا وعدلا :

« إن العمليات الحسابية التى قام بها الحاسب الإلكترونى ، قد أثبتت أن القرآن الكريم قد وضع للناس ، طبقا لحساب غاية فى الدقة والتعقيد ، بحيث يستحيل أن يكون من صنع البشر . كما ثبت أن كل حرف من الحروف الأبجدية فى كلماته ، قد تم

إختيار مكانه طبقاً لعدد من القواعد الحسابية المتداخلة . وإن القرآن كما قال الله تعالى : (كتاب أحكمت آياته ، ثم فصلت من لدن حكيم خبير)(١) .

★ ★

هذا — ونذكر هنا دراسة إحصائية أخرى قام بها الشيخ **محمد عواد** عضو المحكمة الشرعية بغزة ، لم يستخدم فيها الحاسب الإلـكترونى ، إلا أن أهميتها كبيرة للباحثين فى لطائف القرآن .

ولقد كان من جملة ما أحصاه الشيخ محمد عواد ، عدد مرات تواجد كل حرف من حروف الأبجدية فى المصحف . ونذكر ما جاءت به هذه الإحصائية فى الجدول التالى :

---

(١) مجلة : العلم والايمان ـ العدد ٦ لعام ١٩٧٦ .

مسلسل	الحرف	إجمالى تواجده فى القرآن	مسلسل	الحرف	إجمالى تواجده فى القرآن	
١	ا	٤٨٨٠٠	١٥	ض	٢٢٩٣	
٢	ب	١١٢٠٢	١٦	ط	٣١٧٤	
٣	ت	١٠١٩٩	١٧	ظ	٨٤٢	
٤	ث	١٢٧٦	١٨	ع	٩٠٢٠	
٥	ج	٣٢٧٣	١٩	غ	٢٢٠٨	
٦	ح	٢٩٩	٢٠	ف	٨٤٩٩	
٧	خ	٢٤١٦	٢١	ق	٦١٨٣	
٨	د	٤٢٥٦	٢٢	ك	١٠٣٥٤	
٩	ذ	٤٦٩٩	٢٣	ل	٣٣٥٢٢	
١٠	ر	١١٧٩٣	٢٤	م	٢٦٥٦٥	*
١١	ز	١٥٧٠	٢٥	ن	٢٦٣٥٤	
١٢	س	٥٨٩٠	٢٦	هـ	١٩٠٧٠	
١٣	ش	٢٢٥٣	٢٧	و	٢٦٥٦٥	*
١٤	ص	١١٨٠	٢٨	ى	٢٥٩٠٩	

وذلك بالإضافة إلى الحرف : لا ، الذى بلغ إجمالى تواجده فى القرآن ٤٠٩٩ مرة .

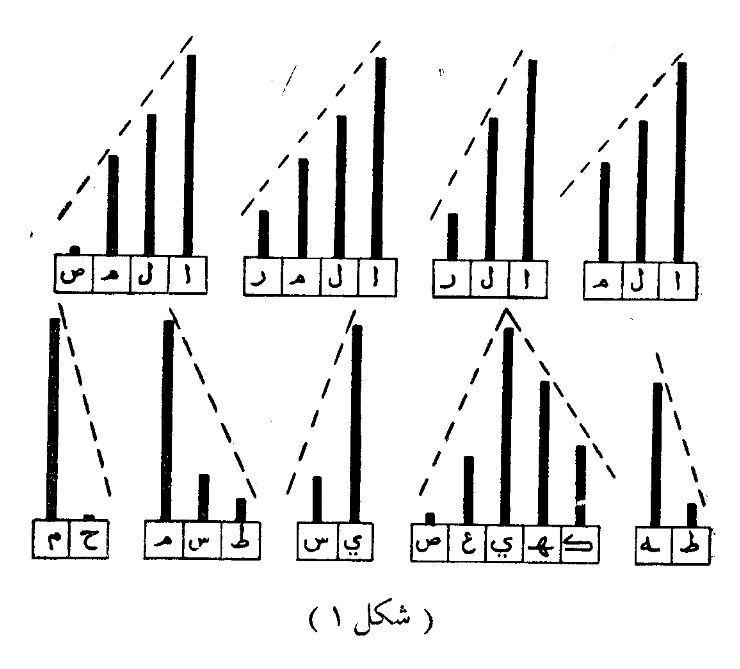
ومن الملاحظ تساوى أعداد الحرفين : م — و ، كما أن الحرف : لا ، الذى يتكون من الحرفين : ل — ا ، يجب إضافة مجموعة وهو ٤٠٩٩ إلى كل من الحرف : ا ذى المسلسل ١ ، والحرف : ل ، ذى المسلسل ٢٣ ، وعلى ذلك فإن الإجمالى المصحح لتواجد الحرفين ا ، ل هما : ٥٢٨٩٩ ، ٣٧٦٢١ على الترتيب .

★

لقد علمنا **سيدنا رسول الله** ، أن نستخدم الرسم البيانى للتمثيل وزيادة الإيضاح ، فيكون ذلك عونا على إنجاح عمليات البيان والشرح والتعليم ، إذ قال ابن مسعود : خط رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا بيده ، ثم قال : هذا سبيل الله مستقيما . وخط عن يمينه وشماله ، ثم قال : هذه السبل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه . ثم قرأ : « **وأن هذا صراطى مستقيما ، فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله** »
(سورة الأنعام : ١٥٣)

ونحاول الآن أن نستفيد من الإحصائية السابقة فى اكتشاف ما يمكن من خواص الحروف الغامضة التى جاءت فواتح لبعض السور ، وذلك بالاستعانة بالرسم البيانى .

فحين نكتب الحروف الغامضة — التى جاءت فاتحة لسورة ما — أفقيا ، ثم نرسم عموداً أعلى كل حرف ، يتناسب طوله مع إجمالى تواجد ذلك الحرف فى القرآن ، فإن النتيجة هى الحصول على الأشكال التالية :



(شكل ١)

وغنى عن البيان أن هذه الأشكال تسير جميعا وفق نظام متدرج طابعه الاستقامة والبعد عن التخبط والاضطراب ، كما هو طابع القرآن فى الاستقامة والتدرج فى تقرير قواعد العقيدة والشريعة والعبادات والمعاملات و ...

ويلفت النظر فى تلك الأشكال البيانية :

– أن مجموعات الحروف : الر – الم – المر – المص – يس – ، تتدرج جميعها تنازليا ، أى من أعلى لأسفل .

– وأن مجموعات الحروف : حم – طس – طسم – طه ، تتدرج جميعها تصاعديا ، أى من أسفل لأعلى .

– وأن مجموعة الحروف : كهيعص ، متوازنة ، تبلغ القمة عند الحرف : ى .

– وأن وضع المجموعتين : طه – يس ، على جانبي كهيعص ، يتفق وتوازن هذه المجموعة الأخيرة .

★

هذا – وتوضح الأشكال المرسومة فى صفحة ١٠٤ العلاقة البيانية لأغلب فواتح السور من الحروف الغامضة – والتى لاتقل عن ثلاثة أحرف – وقد رسمت على مقياس لوغاريتمى .

وهى فى الشكل العلوى :

الم – الر – المر

وفى الأشكال الثلاثة الباقية :

المص – كهيعص – طسم

ر [illegible] ت ا

ر ت ا

[illegible] ت ا

[illegible] [illegible] ط

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] ت ا ا

أما بعد – فمنذ أربعة عشر قرنا من الزمان كانت الأحداث تجرى متلاحقة على الأرض ، فتسبقها أو تلحق بها آيات القرآن العظيم ، ينزل بها « **الروح الأمين** » جبريل على قلب محمد رسول الله إلى العالمين .

وما أن قضى الأمر ، وتم القرآن ، حتى كان جمع آيات الله التى نزلت متفرقات ، آية كبرى علامتها النظام ، وبرهان صدق تطابق فيه فعل الله – بظهور الإسلام – مع القرآن كلام الله .

« **إنما أمره إذا أراد شيئا ، أن يقول له : كن ، فيكون** » .



محور التوازن فى القرآن

حين نستعرض سور القرآن التى توالى ترتيبها فى المصحف مع تسلسل ترتيبها فى النزول ، نجدها تسع مجموعات ، تسير زمنيا كالآتى :

١ — سورتا : المزمل والمدثر ، وكلتاهما تبدآن بخطاب إلهى للرسول . يقول فى الأولى : « يا أيها المزمل » ، ويقول فى الثانية : « يا أيها المدثر » .

٢ — سورتا : الضحى والشرح .

٣ — سورتا : الفلق والناس ، وكلتاهما تبدآن بقوله : « قل أعوذ برب ... » وقد سميتا المعوذتان .

٤ — سورتا : مريم وطه ، وكلتاهما تبدآن بما يعرف بالحروف الغامضة .

٥ — سور : الشعراء والنمل والقصص ، وهى مجموعة الطواسيم ، التى تبدأ بالترتيب التالى : طسٓمٓ — طسٓ — طسٓمٓ .

ومن الملاحظ أنه يفصلها عن المجموعة السابقة — فى ترتيب النزول — سورة واحدة ، هى سورة الواقعة .

٦ – سور : يونس وهود ويوسف ، وكل منها تبدأ بمجموعة الحروف : آلر .

ومن الملاحظ كذلك ، أنه يفصلها عن المجموعة السابقة – فى ترتيب النزول – سورة واحدة ، هى سورة الإسراء .

٧ – سور : الزمر وغافر وفصلت والشورى والزخرف والدخان والجاثية والأحقاف ، وباستثناء سورة الزمر ، نجد أن السبع التوالى لها هن مجموعة الحواميم ، إذ تبدأ كل منها بالحرفين : حمٓ .

٨ – سورتا : النبأ والنازعات .

٩ – سورتا : الصف والجمعة .

وإذا كان هناك ما يقال فى أوجه الحكمة فى ذلك ، فإن ما يشد النظر حقا هو مجموعة الطواسيم ، التى تبين النظرة السريعة أنها تتميز بالآتى :

– تأتى فى منتصف هذه المجموعات ، فكأنها محور إتزان لها .

– تبدأ كل من سورتى الشعراء والقصص بالحروف : طسم ، وهما يحصران بينهما سورة النمل التى تبدأ بالحرفين : طس ، فكأن سورة النمل محور إتزان لمجموعة الطواسيم .

ولقد بينت أبحاث الدكتور رشاد خليفة ، أن سورة النمل تمثل محوراً للتوازن العددى للأحرف : ط - س - م ، فتأكد - بالإحصائيات المضنية الطويلة - وضعها المتميز فى القرآن .

★

على أن القول بتميز سورة النمل معروف منذ نزلت كواحدة من سور القرآن ، فهى السورة الوحيدة التى جاءت البسملة بين ثناياها ، كما فى الآية رقم ٣٠ التى تقول : « إنه من سليمان ، وإنه بسم الله الرحمن الرحيم » فحين تقرأ سورة النمل ، تقرأ البسملة مرتين : الأولى يستفتح بها كالمعتاد ، والثانية فى الآية ٣٠، على حين توجد سورة أخرى تتميز أيضاً - ولكن فى صورة مخالفة - هى سورة التوبة التى تبدأ قراءتها دون البسملة .

ولكن هل توجد عوامل أخرى ، غير ما ذكرنا إلى الآن ، تبرز تميز سورة النمل ؟

إن هذا ما سنحاول الإجابة عليه الآن .

ونبدأ محاولة الإجابة هذه فنقول : أن سورة النمل تتميز عددياً وموضوعيا ، كما نتبين من السطور التالية .

★

التميز العددى لسورة النمل :

لقد رأينا ونحن نعرض سور القرآن التى صدقت معها « نظرية وحدة السورة » ، أن دراسة ما تمثله من آى القرآن كان نحو

٤٣٪ بينما بلغ ما تمثله من ألفاظ نحو ٤٩٪ ، فكان هذا مؤشراً للفرق الملحوظ بين مقدار آيات القرآن ، وألفاظه .

وبمداومة الحساب حتى سورة النمل ، نجد الآتى :

مجموع آيات السور ابتداء من سورة الفاتحة حتى سورة الشعراء ، التى تسبق سورة النمل مباشرة = ٣١٥٩ آية

ولما كان مجموع آيات القرآن = ٦٢٣٦ آية

إذن نصف مجموع آيات القرآن = ٣١١٨ آية

وبذلك يكون الفرق بين مجموع آيات السور قبل سورة النمل ، ونصف مجموع آيات القرآن = ٣١٥٩ – ٣١١٨ = ٤١ آية

وهذا يقودنا إلى الخمس الأخير من سورة الشعراء ، حيث يوجد به خط منتصف آيات القرآن .

ولما كانت كل سورة من سور القرآن وحدة قائمة بذاتها ، منذ نزل القرآن وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، فإن هذا يقودنا إلى نتيجة هامة تقول :

حين يؤخذ فى الاعتبار ، كل من الإحصاء العددى للآيات ووحدة السورة ، فإن سورة النمل تمثل رأس النصف الثانى من سور القرآن العظيم .

ونحاول الآن إيضاح هذه النتيجة باستخدام الجدول التالى .

تقسيم المصحف باعتبار : وحدة السورة وعدد الآيات

النصف الأول		النصف الثانى	
مسلسل السورة فى المصحف	السورة	مسلسل السورة فى المصحف	السورة
١	الفاتحة	٢٧	النمل
٢	البقرة	٢٨	القصص
٣	آل عمران	٢٩	العنكبوت
. . . .	. . . . . .	. . .	... ...
. . . .	. . . . . .	. . .	... ...
٢٦	الشعراء	١١٤	الناس

رب مؤمن من أهل القرآن يتمنى لو أن سورة النمل قد جاءت تماما على رأس النصف الثانى من القرآن ــ آخذا فى اعتباره الإحصاء العددى للآيات فقط ، ومهملا مبدأ وحدة السورة ــ وأقول لهذا المؤمن : لا عليك فإن هذا الوضع لا يستطيع أن يقدح ، ولو بأقل القليل ، فى حقيقة النظام فى القرآن ، والتوازن الملحوظ فيه جملة وتفصيلا .

فمن المعلوم أن جسم الإنسان السليم متوازن تماما ، ومع ذلك تجد القلب — وهو مصدر نبض الحياة فيه — لا يقع على محور التنصيف تماما ، إنما هو ينحرف قليلا إلى يسار الجسم نفسه ، أى أن الإنحراف يأتى قليلا إلى اليمين من وجهة نظر الشخص الذى يفحص ويشاهد . وهذا هو واقع الأمر بالنسبة لمن ينظر إلى المصحف ، فسوف يجد أن خط المنتصف يميل قليلا إلى اليمين ، فى إتجاه النصف الذى يبدأ بسورة الفاتحة .

ومعذرة فى هذا التمثيل الذى يزول الحرج فيه حين نقرأ قول الحق :

« الله نور السموات والأرض ، مثل نوره كمشكاة فيها مصباح ، المصباح فى زجاجة ، الزجاجة كأنها كوكب درى ، يوقد من شجرة مباركة زيتونة ، لا شرقية ولا غربية ، يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار ، نور على نور ، يهدى الله لنوره من يشاء ، ويضرب الله الأمثال للناس ، والله بكل شيء عليم »
(سورة النور : ٣٥)

إن العدد ٣٥ الذى يحدد ترتيب هذه الآية من سورة النور ، يذكرنى بنفس العدد ٣٥ ، الذى ظهر فى حسابات الدكتور رشاد خليفة للحروف : ط — س — م ... مجرد تذكرة !

★

وثمة خاصية أخرى تتعلق بسورة النمل ، وهى أنها تشهد بداية الجزء العشرين من القرآن الذى تبلغ أجزاؤه ثلاثون جزءاً .
وبالرجوع إلى سورة التوبة — التى اعتبرناها النظير المخالف بالنسبة للبسملة — نجدها تشهد نهاية الجزء العاشر .

وبذلك فإن الثلث الأوسط من القرآن يرتبط فى أوله بسورة التوبة ، التى تتلى بلا بسملة ، ويرتبط فى آخره بسورة النمل التى تتلى فيها البسملة مرتين .

★

كذلك ، تبدأ سورة النمل بالحرفين : طس ، ولما كان أكثر ما يلفت النظر فى هذه السورة هو وجود البسملة ، نجد آيتها — رقم ٣٠ — يذكر فيها الحرف س مرتين ، الأولى فى كلمة : سليمان ، والثانية فى كلمة : بسم ، على حين تخلو هذه الآية تماما من الحرف ط .

وعلى هذا سيكون الإعتبار الأول فى معالجة حروف هذه السورة للحرف س ، إلى أن يفتح الله — سبحانه — على أحد من خلقه بشىء يراه فى وضع الحرف ط .

وأبسط معالجة تبدأ بإحصاء الحرف س ، فنجد أن جملته تبلغ ٩٣ حرفا ، وهو عدد آيات سورة النمل تماما .

ويلفت النظر هنا أن الحروف : طسم ، التى جاءت فى أول كل من سورتى الشعراء والقصص ، قد حسبت آية قائمة بذاتها ، بينما أتبع الحرفان : طس ، اللذان بدأت بهما سورة النمل بالكلمات التالية لهما ليكونا الآية الأولى منها .

★

كذلك نجد أن البسملة التى تتميز بها سورة النمل ، قد جاءت فى قصة سليمان وملكة سبأ ، حين افتتح بها سليمان خطابه إلى الملكة . وتبدأ هذه القصة بالآية ١٥ وتنتهى بالآية ٤٤ ، وعلى ذلك فإن مجموع آياتها هو ٣٠ آية ، تأتى البسملة على رأس النصف الثانى — ١٥ آية — الذى يبدأ بالآية رقم ٣٠ ولما كانت سورة النمل تعتبر محور توازن بين سورتى الشعراء والقصص ، بالنسبة للأحرف : ط — س — م ، فقياسا على ذلك يمكننا اعتبار آية البسملة محور توازن فى قصة سليمان وملكة سبأ ، ثم نجرى العمليات الحسابية الآتية :

— باعتبار سورة النمل محور توازن ، نجد أن :

مجموع آيات القرآن إلى ما قبل سورة النمل = ٣١٥٩ آية

مجموع آيات القرآن بعد سورة النمل = ٢٩٨٤ آية

$$\text{النسبة} = \frac{٣١٥٩}{٢٩٨٤} = ١,٠٦$$

— باعتبار آية البسملة محور توازن ، نجد أن :

مجموع آيات القصة قبل البسملة = ١٥ آية

مجموع آيات القصة بعد البسملة = ١٤ آية

النسبة = ١٠ = ١٠,٧

فكأن وضع البسملة فى قصة سليمان وملكة سبأ يمثل **محاكاة** عددية لوضع سورة النمل بين سور القرآن .



وإذا كان عجيبا **أن** نجد فى القرآن **محاكاة عددية** على هذا النحو ، فالأعجب منه ولاشك أن نجد فيه **محاكاة موضوعية** ، وخاصة عند ما يتعلق الأمر بوقائع وأحداث .

إن هذا ما نجده فى تاريخ موسى الذى تقصه علينا **سورة القصص** ، وتبرز فيه ثلاثة أحداث هامة : أولها — إلقاؤه فى التابوت وهو طفل رضيع ، ثم إلقاء التابوت فى اليم . وقد كان هذا العمل بداية لإنقاذه من هلاك محقق على أيدى رجال فرعون.

وثانيها — حين قتل المصرى فى مشاجرة مع قريبه الإسرائيلى ، فترتب على ذلك مواجهة أحد أمرين ، إما الهرب من مصر بحياته ،

وإما التعرض لعقوبة القتل جزاء فعلته . ولقد اختار موسى سبيل النجاة ، فعبر حدود مصر الشرقية فى إتجاه مدين .

وأما الثالثة - فكانت تطوعه لخدمة ابنتى شيخ مدين حين سقى لهما ، وكان ذلك سببا فى التعرف على أبيهما الذى زوجه إحداهما . وما أن انقضت مدة استئجاره عند صهره - التى تراوحت بين ثمان سنين وعشرة - حتى عاد بأهله إلى مصر . وفى طريق العودة - فى سيناء - تلقى الرسالة الإلهية . ولما كانت التوراة تقول أن موسى تلقى الرسالة وعمره ثمانون عاما ، فإن هذا يعنى أن الأحداث الثلاثة : إلقاء تابوته فى اليم ، وقتله المصرى ، وخدمته ابنتى شيخ مدين ، قد استغرقت مالايقل عن سبعين عاما .

وبعد جهاد طويل وشاق ، خرج موسى ببنى إسرائيل من مصر قاصداً فلسطين ، وفى سيناء تلقى التوراة ، ثم اتصل بالعبد الصالح الذى علمه الله من لدنه علما ، وهناك يشهدان معاً ثلاثة أحداث تناظر الأحداث الثلاثة التى شكلت حياة موسى منذ مولده حتى رسالته .

وتقص علينا **سورة الكهف** هذه الأحداث التى تبدأ بركوبه مع العبد الصالح سفينة المساكين ، ثم خرق الأخير لها ،

وتعجب موسى من ذلك ، رغم أن موسى ركب الماء وهو طفل رضيع ونجا بأمر الله . .

ثم كانت حادثة قتل الغلام بيد العبد الصالح ، واستنكار موسى لذلك باعتباره جرماً فظيعاً . ولقد نسى موسى هنا الحادثة التى قتل فيها المصرى .

ثم كانت الحادثة الأخيرة ، وهى دعوته العبد الصالح لتقاضى أجر عن إقامة جدار على وشك الإنهيار فى تلك المدينة التى أبت استضافتهما . مع أن موسى سبق أن تطوع لفعل الخير دون مقابل ، حين سقى لابنتى شيخ مدين .

إن صحبة موسى للعبد الصالح يمكن تقدير فترتها الزمنية بما لا يتعدى أربعة أسابيع ، لأنها ستكون قطعاً أقل من تلك الفترة التى ذهب فيها موسى لميقات ربه — ثلاثين ليلة زيدت إلى أربعين — واستخلف فيها أخاه هارون فى بنى إسرائيل ليقودهم فى غيابه . وحيث أنه لم يرد فى أخبار موسى ما يذكر فترة استخلاف ثانية لهارون ، كان من المتوقع ألا تتعدى صحبة موسى للعبد الصالح ، تلك الأسابيع الأربعة .

وهكذا نجد محاكاة موضوعية لثلاث أحداث تقع فى سبعين عاماً تقصها علينا سورة القصص — وهى السورة رقم ٤٩ فى

ترتيب النزول — ثم تعاد مصغرة فى فترة وجيزة لا تتعدى أربعة أسابيع ، تقصها علينا سورة الكهف — وهى السورة رقم ٦٩ فى ترتيب النزول — وكلتاهما من السور المكية .

إن المجرة الهائلة تعتبر فى بنائها محاكاة رائعة للذرة ...

ولقد يتيسر لنا إدراك شىء من روعة المحاكاة ، حين ندرس « النظام الكونى » وهو ماسيأتى فى المبحث الثانى من هذا الكتاب .



والآن نقول : لقد بدأ النصف الأول من القرآن بسورة الفاتحة التى حسبت فيها البسملة آية . فقد قال أبو هريرة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الحمد لله رب العالمين (أى سورة الفاتحة) سبع آيات ، بسم الله الرحمن الرحيم إحداهن ، وهى السبع المثانى .. »

بعد ذلك نسأل : هل جاءت البسملة بين آيات سورة النمل ، لتلفت نظر الناس إلى أن هنا بداية النصف الثانى من آيات القرآن ، وأن فيها بسملة تدخل إجباريا فى حساب آيات سورة النمل ، كما دخلت البسملة —بأمر رسول الله — فى حساب آيات سورة الفاتحة ؟

الله أعلم ...

لكن الشيء الواضح الآن ، هو أن سورة النمل تمثل محوراً للتوازن فى القرآن ، توازن أبرزه عد الحروف : ط — س — م ، باستخدام الحاسبات الإليكترونية ، كما أبرزه عد آيات القرآن ، بالطرق التقليدية التى لا تستخدم مثل تلك الحاسبات .

من أجل ذلك يمكن القول بأن سورة النمل تعتبر المحور العددى للقرآن .

**

التميز الموضوعى لسورة النمل :

من يقرأ سورة النمل — ولو مرة واحدة — يلفت نظره أنها قد تميزت بالآتى :

— تبدأ بذكر : « **آيات القرآن** » فى الآية الأولى منها ، ثم تؤكد حقيقة القرآن فى الآية السادسة حين تقول : « **وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم** » .

وأخيراً تختتم السورة بهذا التقرير الإلهى الذى يؤكد استبانة آيات القرآن للناس ، فيعرفون أنه الحق من رب العالمين ، وذلك فى قول الحق : « **وقل : الحمد لله ، سيريكم آياته فتعرفونها ، وما ربك بغافل عما تعملون** » .

— تتحدث عن « **منطق الطير** » ، ولغة الدواب ، والقوى الخفية وخاصة تلك التى استخدمها ذلك « **الذى عنده علم من الكتاب** » فى نقل المادة — ممثلة فى عرش ملكة سبأ — إلى مسافة تزيد عن ٢٠٠٠ كيلو متراً فى أقل من لمح البصر .

— تقرر حدوث معجزة مادية قرب نهاية العالم ، تحدث صدمة قوية تدق بها المعتقدات الخاطئة للناس وأفكارهم المنحرفة . وتتمثل فى خروج دابة على الصورة التى أرادها الله وبالكيفية التى اقتضتها حكمته ، كما فى قول الحق :

« **وإذا وقع القول عليهم ، أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون** » — ٨٢ .

ومن استقراء التاريخ نتبين أن ظهور المعجزات المادية ، يعقبه دائما عقاب سريع للمكذبين .

وآنذاك ستكون سورة النمل أكثر سور القرآن ترديداً على لسان المؤمنين والكافرين ، ولكن : هل ينفع الإيمان بالنبى والقرآن آنذاك ؟ !

« **يوم يأتى بعض آيات ربك ، لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل ، أو كسبت فى إيمانها خيراً ، قل انتظروا ، إنا منتظرون** » — الأنعام : ١٥٨

— وأخيراً — وليس آخراً — نقول : أن سليمان يمثل « **القمة** » فى اليهودية ، فقد آتاه الله العلم والحكمة والقوى الكبيرة . وفى قصته مع ملكة سبأ الكافرة ، يستخدم سليمان كل ما أوتيه من فضل كبير فى الدعوة إلى الاسلام ، دين رب العالمين . فقد انتهت أحداث القصة بقول تلك الملكة :

« رب : إنى ظلمت نفسى ، وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين » — ٤٤ .

إن « اليهودية الحقة » إسلام لله ... و « المسيحية الحقة » إسلام لله ...

فكلا منهما يدعو إبراهيم أبا فى العقيدة ... إبراهيم ذو الملة السمحاء التى يقول فيها القرآن :

« ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ، ولقد اصطفيناه فى الدنيا ، وإنه فى الآخرة لمن الصالحين . إذ قال له ربه . أسلم ، قال : أسلمت لرب العالمين .

ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب ، يا بنى إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون .

أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت ، إذ قال لبنيه : ما تعبدون من بعدى ، قالوا : نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحق ، إلها واحداً ، ونحن له مسلمون » — سورة البقرة : ١٣٠–١٣٣



هذا النظام القرآنى ...

لقد رأينا طرفاً من النظام القرآنى المعجز ، جسدته لنا تلك العلاقات العددية الكثيرة والمثيرة ...

فنحن نعلم أن الله وسعت رحمته كل شىء ، فما « **من دابة إلا هو آخذ بناصيتها** » .

ومن رحمته أن أرسل محمداً « **رحمة للعالمين** » ، وحفظ القرآن بوعده الحق :

« **إنا نحن نزلنا الذكر ، وإنا له لحافظون** » .

لقد كان القرآن ينزل آيات ، يتلوها النبى على من حوله ، ثم لا تلبث أن تذاع وتنشر أولا بأول ، خاصة وقد علم المسلمون منذ أول عهدهم بالقرآن ، أن تلاوته قربة إلى الله وتعبدا ، وهى مدعاة لتفضيلهم بعضهم على بعض .

ولقد كان الحرص على نقاء القرآن هو الشغل الشاغل للنبى والذين آمنوا معه ، منذ أيام الوحى الأولى . قال ابن عباس : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أنزل عليه الوحى يلقى منه شدة ، وكان إذا نزل عليه عرف فى تحريكه شفتيه ، يتلقى أوله ويحرك به شفتيه خشية أن ينسى أوله قبل أن يفرغ من آخره . فأنزل الله تعالى : **(لا تحرك به لسانك لتعجل به . إن علينا جمعه وقرآنه)** أن نجمعه لك ، « وقرآنه » أن نقرئك فلا تنسى .

لقد نزلت آية التعهد الإلهى بجمع القرآن مبكرة فى أوائل الوحى ، لم يسبقها إلا أقل من ٨ ٪ من آياته التى انتظم أغلبها فى سور قصيرة سهلة الحفظ ، تضم الواحدة منها فى المتوسط نحو عشر آيات .

لقد اطمأن النبى آنذاك واستيقن من التحفظ الإلهى على القرآن ، وكان جل حديثه بعد ذلك عنه بأنه « **كتاب الله** » ، كتاب تام كامل . .

ومن غير النبى يقدر قول الله حق قدره ، ويأخذه قولا فصلا ، ينأى عن كل ترجيح أو احتمال .

فلقد كان للنبى حرس يقونه القتل والمؤامرات فى تلك الظروف الخطرة التى صاحبت ظهور الإسلام ، وما كان فيها من حروب مستعرة بين تلك القلة المؤمنة والكثرة الكافرة . فلما نزل قول

الله : « **يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك ، وإن لم تفعل فما بلغت رسالته ، والله يعصمك من الناس** » ، آنذاك أخرج الرسول رأسه من القبة ، وقال : أيها الناس انصرفوا ، فقد عصمنا الله عز وجل . فانصرف الحرس .

ومنذ أيام الوحى الأولى ، اتخذ النبي كتبة يكتبون القرآن ، كتبة كثيرين من مختلف العشائر والأعمار . واستمر ذلك هو الحال مع القرآن ثلاثا وعشرين سنة ، أكمل الله فيها الدين وأتم نزول القرآن ، ثم انتقل النبي إلى الرفيق الأعلى .

ولقد كان جل هم الصحابة بعد وفاة رسول الله ، أن يتم جمع القرآن والتحفظ عليه حتى لا يفقد منه شيء ، كما حدث للكتب السابقة وحكاه القرآن . فهذا عمر يهرع إلى أبي بكر ، فى أعقاب حرب مسيلمة الكذاب فى اليمامة ، فيقول له أخشى أن يستمر القتل كرة أخرى بين حفاظ القرآن فى غير اليمامة من المغازى ، وأن يضيع لذلك كثير منه . والرأى عندى أن تسارع فتأمر بجمع القرآن . وأخيراً أقر أبو بكر هذا الرأى ، وأفضى برغبته فى إنفاذه إلى زيد بن ثابت كبير كتاب النبي ، وقال : إنك رجل شاب عاقل ولا نتهمك . كنت تكتب الوحى لرسول الله صلى الله علية وسلم فتتبع القرآن ، فاجمعه .

يقول المستشرق الإنجليزى السير وليم موير : « إذ كان هذا العمل حدثا غير موقع ، فقد اضطرب زيد بادىء الرأى .. على أنه انتهى إلى النزول على ما أبدى أبو بكر وعمر من رغبة ملحة وجهد فى جمع السور وأجزائها من كل جانب ..

فلما كملت النسخة الأولى ، عهد بها عمر إلى صيانة حفصة ابنته وزوج النبى . وظل هذا الكتاب الذى جمعه زيد قائما طيلة خلافة عمر على أنه النص الصادق الصحيح . »

على أن الخلاف لم يلبث أن بدأ فى طريقة التلاوة . . لقد حارب حذيفة فى أرمينية وفى أذربيجان ولاحظ اختلاف القرآن عند السوريين عنه عند أهل العراق .. إذ ذاك فزع إلى عثمان كيما يتدخل : ليقف الناس حتى لا يختلفوا على كتابهم كما اختلف اليهود والنصارى .

واقتنع الخليفة . وليدفع الضر لجأ كرة أخرى إلى زيد بن ثابت وعززه بثلاثة من قريش ، وجىء بالنسخة الأولى من حيازة حفصة ، وعرضت القراءات المختلفة من أنحاء الإمبراطورية ، وروجعت كلها بأتم عناية للمرة الأخيرة .. وأرسلت نسخ من هذا المصحف بعد تمام جمعه إلى جميع الأمصار فى الامبراطورية ».

ووصل إلينا مصحف عثمان ، وقد بلغت العناية بالمحافظة عليه أنا لا نكاد نجد ــ بل لا نجد ــ أى خلاف بين النسخ التى لا عداد لها ، والمنتشرة فى أنحاء العالم الإسلامى الفسيحة . ومع ما أدى إليه مقتل عثمان نفسه بعد ربع قرن من وفاة محمد ، من قيام شيعة مغضبة ثائرة ، زعزعت ولا تزال تزعزع وحدة العالم الاسلامى ، فإن قرآنا واحداً قد ظل دائما قرآنها جميعا . وهذا الاسلام منها جميعا لكتاب واحد على اختلاف العصور ، حجة قاطعة على أن ما أمامنا اليوم ، إنما هو النص الذى جمع بأمر الخليفة السيء الحظ (عثمان) .

والأرجح أن العالم كله ليس فيه كتاب غير القرآن ظل ثلاثة عشر قرناً كاملا بنص هذا مبلغ صفائه ودقته . والقراءات المختلفة قليلة إلى حد يثير الدهشة . وهذا الاختلاف محصور أكثر أمره فى نطق الحروف المتحركة أو فى مواضع الوقف ، وهذه مسائل ابتدعت فى تاريخ متأخر ، فلا مساس لها بمصحف عثمان . .

والنتيجة التى نستطيع الإطمئنان إلى ذكرها هى : أن مصحف زيد وعثمان لم يكن دقيقاً فحسب ، بل كان ــ كما تدل الوقائع عليه ، كاملا ، وأن جامعيه لم يتعمدوا إغفال أى شيء من الوحى .

ونستطيع كذلك أن نؤكد ـــ إستناداً إلى أقوى الأدلة ـــ أن كل آية من القرآن دقيقة فى ضبطها كما تلاها محمد » (١) .

★

أما بعـــد ...

لقد كانت **معركة بدر** فيصلا فى تاريخ الاسلام ، وفى تاريخ العالم ..

وفى يوم بدر وقف الرسول فى عريش أقيم له ، يتضرع إلى الله ويسأله النصر ، ثم خرج من العريش وقبض قبضة من التراب فرمى بها وجوه القوم وقال : شاهت الوجوه . فأصابت وجوههم ، وانطلق أصحابه فى عقبها يقتلونهم ويأسرونهم ، فلم يبق للمشركين سوى الهزيمة وتولى الأدبار .

لقد كانت صورة المعركة تبدو للمشاهد صراعا بين فئتين تؤثر فيهما العوامل والخواص المادية والمعنوية ، لكن حقيقة الأمر أن الله كان هناك — وجوداً ينأى عن كل تشبيه ، كما ينأى عن الزمان والمكان والأبعاد ... ... لذلك انتصر المسلمون الذين كانوا يحاربون باسمه ، وأنزل — سبحانه — قرآنا يقول :

---

(١) **حياة محمد : الدكتور محمد حسين هيكل ـ دار المعارف ـ ص ٥١ ـ ٥٥ .**

« فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم ، وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ، وليبلى المؤمنين منه بلاءاً حسنا ، إن الله سميع عليم » ـ الأنفال : ١٧

ولا نقرر سوى الحقيقة حين نقول أن عملية جمع القرآن وترتيب سوره فى المصحف قد صنعت على عين الله . وما كان كل البشر الذين ساهموا فيها ، إلا جنوداً مسخرين لتنفيذ إرادة الله وتحقيقا لوعده الحق : « **إن علينا جمعه وقرآنه** » .

من أجل ذلك جاء هذا النظام القرآنى المعجز ، الذى يذكرنا بكل بديع ومعجز يصدر عن الله « **بديع السموات والأرض** » .

إن النظام والاعداد خاصية من خواص القرآن بدأنا نلمح طرفا منها ، وما خفى كان أعظم ، فهذا شىء يقرره القياس والاستقراء .

وإن النظام والأعداد لخاصية كذلك من خواص الكون الواسع الرهيب . . .

وهى خاصية لها ولالتها العميقة التى « مايعقلها إلا العالمون »(١) من أمثال الذين ذكرنا بعض أقوالهم فى الصحفة الأخيرة من غلاف الكتاب . . .

---

(١) اقرأ قول الحق : « وتلك الأمثال نضربها للناس ، وما يعقلها الا العالمون . خلق الله السموات والأرض بالحق ، ان فى ذلك لآية للمؤمنين » ـ سورة العنكبوت : ٤٣ ـ ٤٤ .

وإن نظرة على الوريقات التالية لتؤكد لنا ذلك ، وتعطينا الفرصة لتدبر آيات الله ...

آيات الله الكبيرة والعظيمة والرهيبة ...

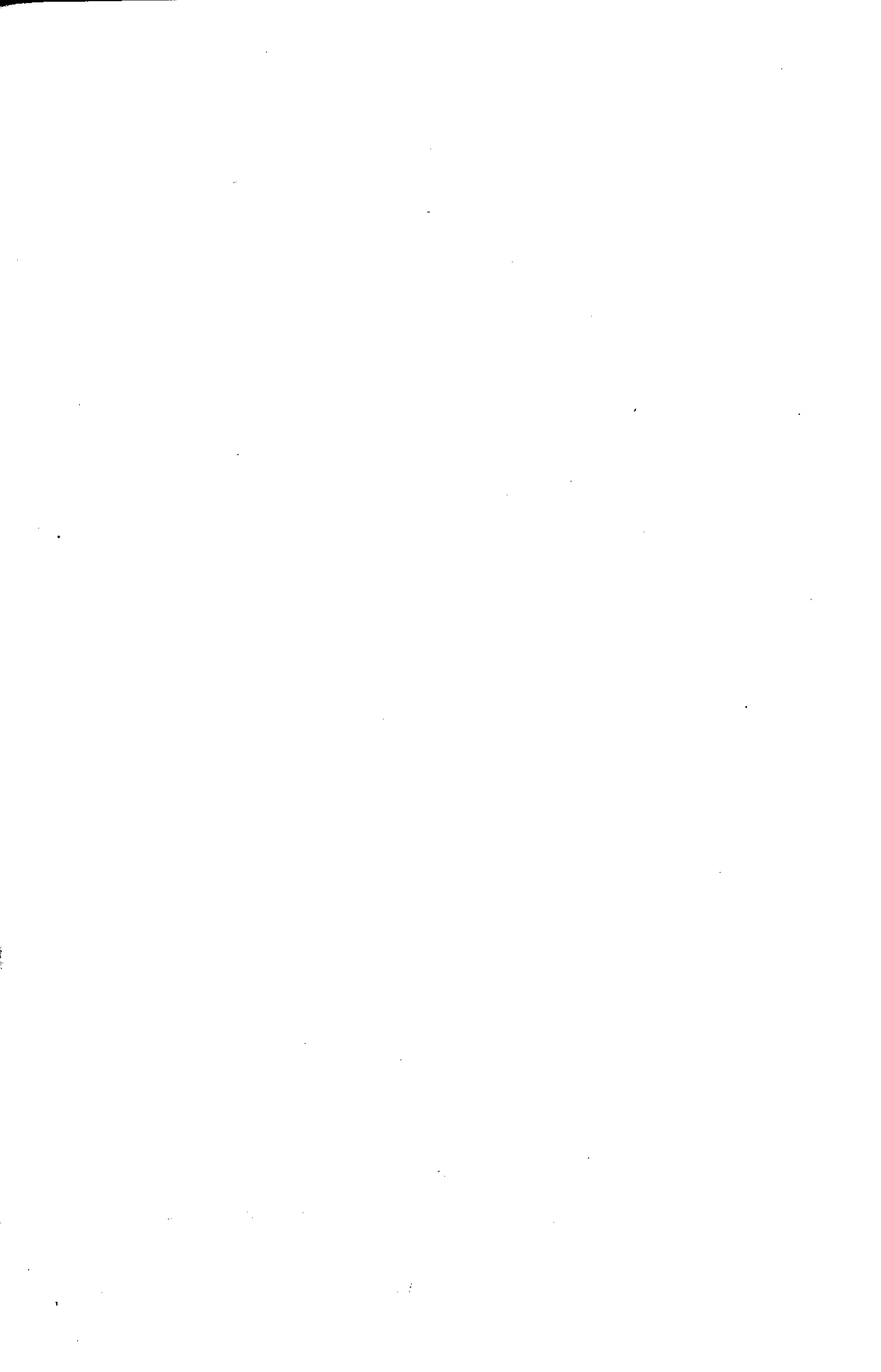
ولقد صدقوا حين قالوا : الكون كتاب الله المفتوح ، والقرآن كتاب الله المقروء .

كتاب « لو كان من عند غير الله ، لوجدوا فيه اختلافاً كثيرا »(١).

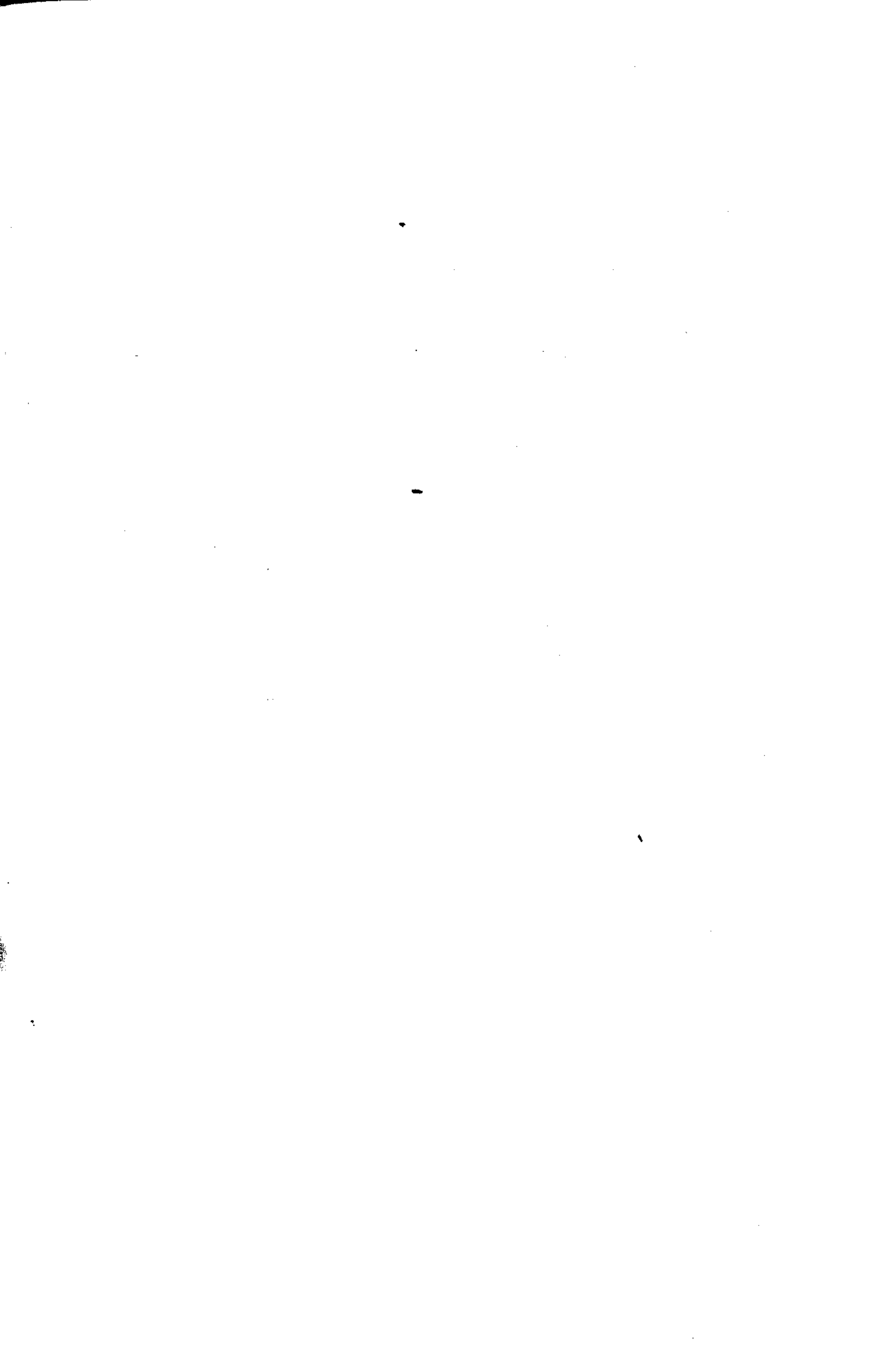
★★★

---

(١) سورة النساء : ٨٢ .



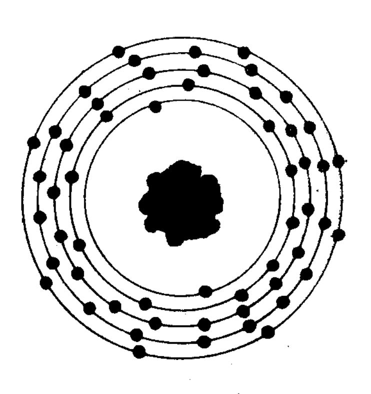
النظام الكونى



النظام الكونى

البناء والتركيب :

الذرة وحدة البناء : يتكون العالم المادى من ذرات العناصر المختلفة ، وهى ذرات مختلفة الأقدار ، متنوعة الرباط والعلاقات ولكنها تشترك جميعا فى هيكل البناء العام إذ تتكون من نواة موجبة الشحنة تتركز فيها كتلة الذرة ، بينما تسبح حولها إلكترونات سالبة الشحنة فى أفلاك ، ويتساوى مقدار كل من الكهربية الموجبة والسالبة وبذلك تكون الذرة متعادلة كهربيا .



نموذج ذرة

وينشأ عن إختلاف مكونات الذرة وأقدارها ، إختلاف الخواص الطبيعية والكيميائية للعناصر ، كما ينشأ عن تنوع الرباط والعلاقات بين ذرات العنصر الواحد أو العناصر المختلفة ما نعرفه من مركبات ومخلوطات وينتج عن ذلك كله تكوين الصورة التى نحس فيها العالم المادى على هيئة ما يعرف بأحد أو – كل – حالات المادة الثلاث الصلبة والسائلة والغازية ، أو الحالة الرابعة التى تعرف بالبلازما .

والبلازما أقرب الحالات إلى الغازية ، وهى عبارة عن كميات كبيرة من الإلكترونات الحرة والذرات المتأينة ولكنها فى مجموعها متعادلة كهربيا .

*

سنن الله فى بناء الذرات :

من المعلوم أن ذرة الايدروجين تتكون من نواة بها شحنة أولية موجبة يسبح حولها الكترون ذو شحنة أولية سالبة . وقد وضع الأيدروجين بتركيبة البسيط هذا على رأس قائمة العناصر فى الجدول الذى يرتبها تصاعديا وفق أعدادها الذرية .

وإذا ماانتقلنا إل الهيليوم وهو العناصر الثانى فى ذلك الجدول ، لوجدنا نواته بها ٢ شحنة أولية موجبة – ويسبح حولها ٢ إلكترون يتساوى مجموع شحنتهما مع مجموع شحنه النواة .

وهنا يوجد فىالنواة ٢ نيوترون ،وهو جسيم أولى عديم الشحنة، كتلته تساوى تقريبا كتلة البروتون .

ويلى ذلك عنصر الليثيوم وتزداد شحناته الأولية لتصبح ثلاثا موجبة فى النواة – التى يوجد بها ٤ نيوترون – يسبح حولها ثلاث سالبات . وهكذا فنجد أن بقية ذرات العناصر تتدرج فى مقاديرها الكهربية بوحدات أولية صحيحـــة ويختلف تبعاً لذلك خواصها وحالتها الطبيعية .

هذه واحدة من صور النظام الذى يحكم ذرات العالم المادى .

وثمة صورة أخرى من صور بناء الذرات يظهر فيها النظام على أروع صورة ، ذلك أننا حين ننفذ – ببصيرتنا – إلى داخل مختلف الذرات نجد أن توزيع الإلكترونات فى السماوات – أو مستويات الطاقة – التى تحيط بالنواة يسير هو الآخر وفق نظام محكم يؤدى إلى إختلاف خواص العناصر وطبائعها .

ولما كانت هذه الخواص والطبائع وليدة للنظام كان من المتوقع أن ترتبط هى الأخرى بنظام ما .

ولقد كان هذا هو واقع الأمر ...

فقد لاحظ العلماء أن بين العناصر المختلفة خواص مشتركة وأن هذه العناصر تكرر خواصها فى دورات عددها ٧ ، وقد برز ذلك فى الجدول الدورى الحديث للعناصر حيث يتم ترتيبها تصاعديا وفقا لأعدادها الذرية – أى عدد الإلكترونات السابحة حول النواة – وذلك فى مجموعات رأسية ذات خواص مشتركة تكرر نفسها الدورات الأفقية السبع .

وبذلك أصبح من السهل دراسة خواص أى عنصر متى عرف وضعه فى هذا الجدول الدورى . وجدير بالذكر أن المحاولات التى كانت تجرى فى القرن التاسع عشر لترتيب العناصر وفق خواص مشتركة لاحظهاالكيميائيون ، قد خطت خطوة هامة فى عام ١٨٦٩ على يد ديمترى مندليف الذى قام بإعداد جدول للعناصر وفقا لأوزانها الذرية مبتدءا بالأيدروجين ، وذلك خلافا للجدول الدورى الحديث الذى يرتب العناصر فى ترتيب تصاعدى وفقا لأعدادها الذرية مبتدءا بالايدروجين كذلك .

وعندما قام مندليف بعمل الجدول الدورى للعناصر ، لأول مرة لم يكن قد أكتشف منها آنذاك سوى خمسة وسبعين عنصرا ، ولذلك أبقى على عدد من الأماكن الفارغة لعناصر توقع وجودها ولم تكن قد اكتشفت بعد .

ولقد كانت توقعات مندليف فيما يتعلق بخواص بعض العناصر المجهولة ، صحيحة إلى حد كبير .

ففى عام ١٨٧١ تنبأ بوجود عنصر يقع فى العمود الرأسى من الدورة الرابعة بين السليكون ، والزنك وقال إنه رمادى اللون ويعطى أوكسيدا أبيض عند احتراقه فى الهواء ولا يتأثر بالأحماض أو القلويات ، كما أعطى أرقاما لوزنه النوعى والذرى ، ودرجة غليانه .

وبعد ذلك بخمسة عشر عاماً تمكن كليمنز وينكلر من اكتشاف هذا العنصر فتبين أن توقعات منذليف بخصوصه قد تحققت تقريباً .
ولقد دعى وينكلار هذا العنصر جرمانيوم ، لأسباب قومية .

★

هذا — وحين نستعرض التركيب الذرى لعناصر بعض الدورات نجد أن الإلكترونات تتوزع فى سماواتها إبتداء من تلك الأقرب إلى النواة فصاعدا ، وفق النظام الآتى :

توزيع الإلكترونات فى ذرات عناصر الدورة الثانية

العنصر	ليثيوم	بريليوم	بورون	كربون	نتروجين	أكسجين	فلورين	نيون
التوزيع	١،٢	٢،٢	٣،٢	٤،٢	٥،٢	٦،٢	٧،٢	٨،٢

من ذلك يتبين أن السماء الأولى لكل من العناصر الثمانية المذكورة يسبح فيها ٢ الكترون ، أما السماء الثانية فيتدرج فيها عدد الالكترونات بمقدار الواحد الصحيح زيادة لكل عنصر عن العنصر السابق له فى الجدول . فالسماء الثانية لليثيوم بها ١ إلكترون ومثيلتها للبريليوم بها ٢ إلكترون ثم البورن ٣ إلكترون ...

وهكذا حتى نصل إلى نهاية هذه الدورة فنجد النيون وسماؤه الثانية بها ٨ إلكترون .

★

توزيع الالكترونات فى ذرات عناصر الدورة الثالثة

العنصر	التوزيع
صوديوم	٢ ، ٨ ، ١
مغنسيوم	٢ ، ٨ ، ٢
ألومنيوم	٢ ، ٨ ، ٣
سيليكون	٢ ، ٨ ، ٤
فوسفور	٢ ، ٨ ، ٥
كبريت	٢ ، ٨ ، ٦
كلور	٢ ، ٨ ، ٧
أرجون	٢ ، ٨ ، ٨

ومن ذلك يتبين أن السماء الأولى والثانية لكل من هذه العناصر الثمانية ؛ يسبح فيها ٢ إلكترون ، و ٨ إلكترون على الترتيب .

أما السماء الثالثة فيتدرج فيها عدد الإلكترونات تصاعديا بمقدار الواحد الصحيح . فنجد بها فى الصوديوم ١ إلكترون ، ثم المغنسيوم ٢ إلكترون .. حتى نصل إلى نهاية هذه الدورة فنجد الأرجون وفى سمائه الثالثة ٨ الكترون .

وواضح كذلك أن العنصرين الأخيرين فى الدورتين السابقتين ينتميان إلى مجموعة واحدة تشمل الغازات النادرة وهى : الهيليوم — النيون — الأرجون — الكريبتون — الزينون — ثم الرادون ، وجميعها غازات خاملة ليس لها نشاط كيماوى .

وحين نتتبع توزيع الإلكترونات فى ذرات هذه العناصر النادرة نجدها تسير وفق نظام دقيق ، مع ملاحظة أن كل سماء أو مستوى طاقى قد قسم كذلك إلى طبقات أو مستويات فرعية للطاقة تتوزع فيها الالكترونات حسب الجدول التالى :

توزيع الالكترونات فى ذرات العناصر النادرة

السماء / العنصر	الأولى	الثانية	الثالثة	الرابعة	الخامسة	السادسة
هيليوم	٢					
نيـــون	٢	٢ ٦				
أرجون	٢	٢ ٦	٢ ٦			
كريبتون	٢	٢ ٦	٢ ٦ ١٠	٢ ٦		
زينـــون	٢	٢ ٦	٢ ٦ ١٠	٢ ٦ ١٠	٢ ٦	
رادون	٢	٢ ٦	٢ ٦ ١٠	٢ ٦ ١٠ ١٤	٢ ٦ ١٠	٢ ٦

ومن الملاحظ أن السماء الأولى ليس بها سماوات فرعية أو يمكن التعبير بطريقة أخرى فيقال أن بها سماء فرعية واحدة هى السماء الأصلية .

وأما الثانية والثالثة والرابعة والخامسة والسادسة فهى مقسمة إلى سماوات فرعية ، أعدادها على الترتيب : ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٣ ، ٢

ومن الملاحظ كذلك أن السماء الأولى لكل من هذه العناصر النادرة تحتوى على ٢ إلكترون ، وأن السماء الأخيرة لكل منها بها ٨ إلكترون .

وأنه عند الانتقال تصاعديا من العنصر النادر إلى العنصر الذى يليه ، نجد أنه تزداد سماء واحدة تالية تتوزع فيها الالكترونات الزائدة عما هو كائن فى السموات السابقة .



الحق الذى لامراء فيه أن وحدات بناء العالم المادى تحكمها سنن محكمة ، سمتها التدرج والتكرار .

إنها تسير وفق نظام رغم ما قد يبدو فى بعض الحالات أمام عيون بعض المشاهدين من إفتقاد مثل ذلك النظام .

إنها جميعا فى إتساق لاريب فيه .



سنن الله فى بناء الجزيئات :

تتحد ذرتان أو أكثر إتحادا كيميائيا لتكون الجزىء :

فقد تتحد ذرة إيدروجين بأخرى من ذات جنسها لتكون جزىء الأيدروجين .

وقد تتحد ذرة الأيدروجين بأخرى من غير بنات جنسها مثل ذرة الكلور لتكون جزىء كلوريد الأيدروجين وهو غاز .

وحين تتحد ذرة الكلور (وهو غاز سام) مع ذرة الصوديوم (وهو جسم حارق) يتكون منهما جزىء كلوريد الصوديوم المعروف باسم ملح الطعام ، والذى يعتبر مصلح الطعام ..

وتتحد ذرتا أيدروجين (وهو غاز محترق) بذرة أوكسجين (وهو غازحارق)لتكون جزىءالماءالذى يستخدم فى اطفاء الحريق، حريق العطش وحريق النار ...

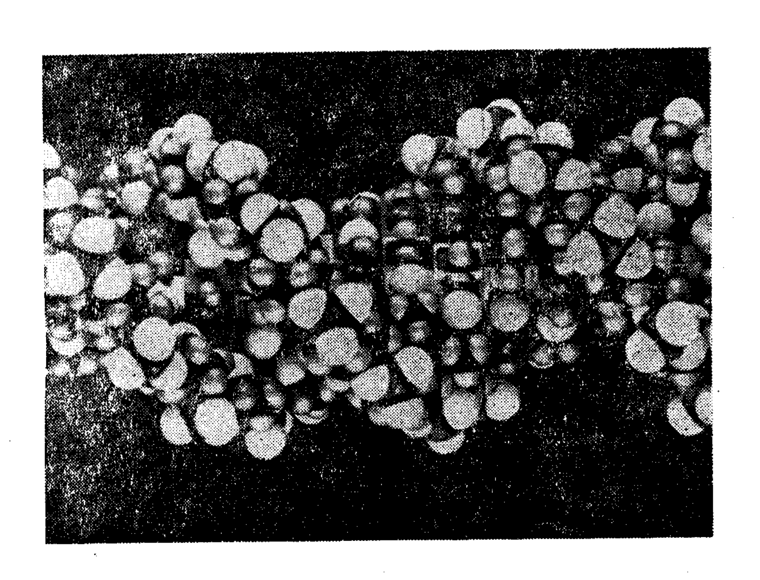
وتتحد ثلاث ذرات أيدروجين بذرة نتروجين لتكون جزىء النشادر ...

وتتحد ست ذرات أيدروجين بست ذرات كربون لتكون جزىء البنزين ...

وقد توجد ذرات خاملة ليس لها حظ من هذا التزواج أو الاتحاد فتبقى وحيدة ، ويمكن تسميتها بالذرات العوانس ...

كما أنه قد تجتمع أعداد هائلة جداً من ذرات بعض العناصر لتكون جزيئا واحدا مثل الجزىء العملاق المعروف باسم : د . ن . أ . (وهو اختصار الاسم ديزكس ريبونيوكليك اسيد) .

«وهذا الجزىء العملاق هو الذى يهيمن على كل عمليات الحياة، إذ يتخلق منه البروتين والانزيمات والهرمونات . .فهو بمثابة آلة الحياة التى تدور لتخلق آلات مثلها..أو جزيئات تشبهها أو لاتشبهها.



جزء من نموذج بناء الجزىء العملاق د . ن . ا .
لاحظ التركيب الحلزونى الذى ينجدل فيه الحبلان الرئيسيان من الذرات والتى تمثلها الكرات الكبيرة .

وقد اختار الله من عناصر الأرض الكربون والأيدورجين والأوكسجين والنتروجين والفوسفور وربطها فى بنايات ذرية غاية فى الدقة وخرج لنا جزىءد . ن . أ . يطوى تحت لوائه مائة ألف ذرة ، بنيت وشيدت كما لم يبن ويشيد بناء جزيىء من قبل ، فهى تتراص بطرق هندسية ، وتتشابك بقوانين خاصة ، وتتجه بمسافات محددة ، وتنفرج بزوايا معينة ، وكأن هناك مهندساً يصمم مدينة مثالية قائمة بذاتها ، مستخدما فى ذلك أحجاراً (ذرات) ليبنى منها عمارات (جزيئات) وتتجمع العمارات على هيئة مترابطة منسقة لتخلق مدينة تسرى فيها الحياة ... هى النواة »(١) .

والنواة هى القلب النابض لكل خلية حية ، والمركز العصبى الرئيسى الذى يسيطر ويرسل ويستقبل بكم وكيف وسر ، خفيت لطائفة حتى اليوم — عن الإدراك .

★

وتسير ذرات العناصر فى عمليات الإتحاد الكيماوى لتخليق جزيئات المادة أو العالم المادى ، وفق سنن ثابتة لاتعرف الحيود أو الزوغان .

---

(١) دورات الحياة : ص ٢٨ ــ ٢٩

ومن هذه السنن ما يعرف باسم « قانون النسب الثابتة » والذى يمكن صياغته كالآتى :

« كل مركب كيماوى (كالماء مثلا) مهما اختلفت طرق تحضيره فإنه يتكون من نفس عناصره (الأيدروجين والأوكسجين) متحدة مع بعضها البعض بنسبة وزنية ثابتة » .

وحين يتعدد النشاط الكيماوى لعنصر معين – وقد عرضنا منذ قليل شيئا من نشاط الأيدروجين – فإنه توجد علاقة عددية بسيطة ، تحكم النسب الوزنية التى يتحد بها هذا العنصر مع غيره من العناصر .

ويمكن صياغة هذه العلاقة التى تعرف باسم « قانون النسب المتضاعفة » على النحو التالى :

« إذا اتحد عنصران (الكربون والأوكسجين مثلا) ونتج عن إتحادهما أكثر من مركب كيماوى (أول اكسيد الكربون ، وثانى اكسيد الكربون ..) فإن كتل أحد العنصرين (الأوكسجين) التى تتحد بكتلة معينة من العنصر الآخر (الكربون) تكون فيما بينها تناسبا عدديا بسيطا » .

فنجد أن نسبة وزن الكربون إلى الأوكسجين – فى أول اكسيد الكربون هى ٣ : ٤ ، ونسبة وزن الكربون إلى الأوكسجين –

فى ثانى أوكسيد الكربون هى ٣ : ٨ ؛ وعلى ذلك تكون النسبة بين وزنى الأوكسجين اللذين إتحدا بوزن ثابت (٣ وحدات وزنية) من الكربون هى ٤ : ٨ ، أى ١ : ٢ ، وهى نسبة عددية بسيطة .

قانون الوزن – إذن – هو الذى يحكم تكوين المركبات .

ويحضرنا على الفور قول « الحق » فى تخليق مركبات الكائن الحى الأساسى وأعنى به النبات – وهو الذى تقوم عليه حياة الكائنات الحية الأخرى من حيوان وإنسان ، سواء بطريق مباشر أو غير مباشر – إذ يقول :

والأرض مددناها ، وألقينا فيها رواسى ، وأنبتنا فيها من كل شىء موزون » – (الحجر : ١٩)

★★

سنن الله فى بناء الكائن الحى :

الكائن الحى بناء هندسى من جزيئات المادة يسرى فيه شىء نحسه ونعجز عن إدراك كنهه ، لأنه شىء لطيف ... هو « روح » .

ونبدأ الحديث عن الكائن الحى بالحديث عن الخلية ، فهى وحدة البناء الأساسية فى الكائنات ، وهى دقيقة مجهرية تشتمل على مادة هلامية (سيتوبلازم) ونواة مركزية . وتتميز النواة

بشكلها المحدد وتحتوى بداخلها على خيوط رفيعة تعرف بالصبغيات (الكروموزومات) ، وهذه تحمل حبات الوراثة (الجينات أو المورثات) تلك التى تتحكم فى تخليق الكائن الحى وتحديد نوعه وشكله ولونه وطبعه وخصائصه التى تميزه عن غيره من الكائنات فى عالم الأحياء .



صورة بالميكروسكوب الاليكترونى نقسام الخلية
وهى تبين انبثاق الكروموزومات .

وتحتوى كل خلية على عدد ثابت من الصبغيات خاص بهذا النوع أو ذاك الحيوان أو النبات وتكون هذه الأعداد زوجية . فقد وجد أن خلية الإنسان تحتوى على ٢٤ زوجاً من الصبغيات ، بينما تحتوى خلية الحصان على ٣٠ زوجا وخلية الأرنب على ٢٢ زوجا .

ويحمل كل زوج صبغى ، صفات وراثية إكتسبها من الأم والأب وينمو الكائن الحى بانقسام خلاياه ومن ثم تكاثرها .

وعندما تنقسم الخلية فإن صبغياتها تنشطر طوليا وبهذا تحتوى كل من الخليتين الناتجتين على صبغيات تتفق فى العدد والتركيب مع الخلية الأصل . وتتم عملية إنفلاق الخلية الأصل على أساس كمى فائق الدقة إذ أن كلامن الخليتين الوليدتين حصل على نصف مكونات تلك الخلية الأصلية تماماً .



وتتكون الصبغة (الكروموزوم) أساساً من الجزىء العملاق د . ن . ا . الذى يتركب من السكر المرتبط مع قاعدة نيتروجينية وفوسفات . وقد انتظمت حشود ذراته على شكل سلم حلزونى يدور حول محور مركزى به جزيئات من السكر والفوسفات مكونة حدود السلم الخارجية ، أما درجاته المكونة من قواعد بروتينية ، فقد صممت بهندسة رائعة تظهر لنا على هيئة قواعد أربع مختلفة البناء ، توجد فى شقين متكاملين ، ويرتبط كل شق برباط هيدروجينى . ثم تتكرر هذه الدرجات البروتينية الأربع المغلفة بالسكر والفوسفات على مدى هذا السلم الطويل . . .

وعندما يأتى الأمر الإلهى بالإنقسام « تدور البناية الحلزونية حول نفسها عشرة ملايين دورة ، حتى ينتهى بها الأمر إلى شىء أشبه بالشريط أو الحبال غير المجدولة .

ولم يتوصل العلم حتى الآن إلى معرفة سر القوة أو الطاقة التى تجعله يدور ليفك نفسه من لفاته .

وبقدرة قادر ينشق هذا السلم من نصفه شقا طوليا كأنه شق بمنشار ، وتنشر ملايين السلالم كذلك من منتصفها ، فينفصل كل درابزين على حده ، وتبقى أنصاف السلالم معلقة فى كل منهم .

وعندئذ يبدأ أعظم حدث فى روعة تخليق الجزىء ، فتندفع من خلال جدار النواة إلى الداخل جزيئات أو أحجار بنائية سكر وفوسفات (وقواعده البروتينية الأربع) وكلها ما عدا الفوسفات تتخلق وتتكون بطريقة سحرية ثم تجرى وتدور حول أنصاف السلالم . ويعرف كل جزىء صغير من هذه الجزيئات مكانه وزواياه ، فبعضها يكمل أنصاف السلالم وبعضها يكون الدرابزين ، وعندما تكتمل السلالم ، يتكون درابزين جديد لكل نصف ، مرة سكرة ، ومرة فوسفات ، كالبداية تماما .

وفى دقائق معدودات يظهر سلمان أو جزيئان ضخمان ، وكلاهما صورة طبق الأصل للسلم أو الجزىء د . ن . أ ، الذى بدأنا به ، ولكنها الآن كشريط غير مجدول ، فتأتى الجزىء قوة سحرية تجعله يدور حول نفسه — مرة أخرى — عشرة ملايين دورة ، وبهذا تصبح على شكل حلزونى لولبى . . كما بدأت عادت .

والغريب فى الأمر هنا أن هذا الجزىء الجديد لا ينقسم بعد ذلك بالطول أبداً إلا إذا دار حول نفسه عشرة ملايين دورة ، ثم يدور فى الاتجاه العكسى الملايين نفسها من المرات ، وبعدها يستطيع أن ينقسم ، أى أنه يغزل نفسه كالحبل أولا ، ثم يعود ليفك نفسه . . . ولا أحد يعرف ما دلالة هذا ، ولماذا يفعل الجزىء ذلك ، ولكنها قد تكون اختباراً لتراص الجزيئات (الصغرى) فى مكانها الصحيح ، وعندما يطمئن الحلزون إلى أن كل شىء على ما يرام فإنه ينشطر باطمئنان ! ...

وأغرب من هذا كله أن جزىء د . ن . ا . فى كل كائن حى ، من أول الميكروب إلى الحشرة إلى الفيل ، إلى الحمار ، إلى الإنسان ، إلى النبات . .

إنه الوحدات الأساسية التى تدخل فى تركيب وتناسق جزيئات الحياة . . . ولقد اثبت التحليل الكيمائى أن القواعد التى بنته وشيدته لا تختلف فى تراكبها فى كل الكائنات الحية ...

وهكذا أصبحت النواة بمثابة الخريطة السحرية التى رسمها الخالق – سبحانه – لكل كائن حى على الأرض وأودع تلك الأسرار فيها ، ثم هى بعد ذلك تنقسم وتنقسم ، وتكبر وتكبر ،

وتتشكل كما يحلو لها أن تتشكل ، ولكن على أساس الخريطة السحرية »(١) .

★

وهكذا نجد أن وحدة بناء الكائن الحى تأتى أساسا ذرات ، وهذه تتحد لتكون جزيئات صغرى ، وتترابط الجزيئات الصغرى لتكون جزيئات أكبر منها ، وهذه تتدرج لتكون جزيئات عملاقة مثل د . ن . أ ، وهذه تكون الشبكة الهندسية أو الشفرة التى تنسج المورثات ، ومن ثم تتكون الصبغيات التى يغلفها سر الحياة فى نواة خلية الكائن الحى .

إن بناء الذرة ذاته يسير وفق سنن الله ، وهى نظم وقوانين طبيعية لا تعرف الفوضى أو العشوائية .

ونتدرج من الذرة إلى الجزىء إلى ما هو أكبر منه . . . إلى النواة فنجدها جميعاً تبنى وتتخلق وفق سنن ثابتة وقوانين رياضية نراها فى صورة مقادير ونحصيها بأعداد وكميات . .

★★

الخاصية المشتركة بين الحى والميت :

« ليس فى الإمكان تعريف الحياة تعريفاً دقيقاً ، فالكائنات الحية أشياء مألوفة لدينا ولكنها قد تعتمد فى حياتها على مكونات

---

(١) المرجع السابق : ص ٣٤ ـ ٣٩ .

ميتة هامة كمادة السليولوز أى الأجزاء الخشبية فى النبات ، أو قواقع الحلازين أو ريش الطيور .

ومن المفارقات التى تحمل فى ظاهر الأمر معنى التناقض ، أن هذه الأجزاء غير الحية قد تبقى فى بعض الأحيان آثاراً خالدة بعد موت النبات أو الحيوان حتى لنستطيع أن نستنتج من تلك الحفريات المحفوظة التركيب الأساسى لكائن كان يحيا حياة محسوسة عريضة منذ قرون أو ملايين خلت من السنين . فالحياة تبدو مقترنة بالميت من الأشياء بل إن الحياة كما نعرفها هى فى واقع الأمر حالة عارضة من أحوال المادة أو صورة نادرة من صور تجمعها »(١) .

هذا ما يقوله بعض علماء الأحياء فى تعريف الحياة ... وكان حريا بهم أن يقولو « أن الحياة كما نعرفها هى فى واقع الأمر حالة تتعرض فيها المادة الميتة لفعل إلهى ، يخرج الحى من الميت » فعل نحسه ونعجز عن إدراك كنهه .

وفى محاولة لتحديد الخصائص الرئيسية للكائن الحى اتفق على سبع طبائع يتميز بها الحى عن الميت بدرجات متفاوتة هى : التغذية والتنفس والنمو والإخراج ،والتكاثر والإحساس والحركة .

---

(١) طبائع الأحياء : ص ١١ .

والحق أن كلا من الطبائع الست الأولى فيها من الطبيعة السابعة الشيء الكثير ، فالتغذية حركة ترتبط بعمليات كيماوية ، والتنفس حركة ترتبط بعمليات فسيولوجية ، وهكذا ...

ولما كان « الميت » يتكون من ذرات هى فى حركة داخلية مستمرة لا تعطيل فيها ، وهو يتكون كذلك من جزيئات لها حركات مختلفات — كانت الخاصية المشتركة بين الحى والميت هى الحركة . . .

★★

الخواص المتميزة للكون الواسع :

فى الذرة حركة ... تطوف فيها الإلكترونات حول النواة ...

وللجزىء البسيط حركات .. إهتزازية وانتقالية ... إن له طوافا من نوع خاص ...

وللجزىء المركب حركات وحركات .. من أبرزها ولا شك الحركة المحورية التى نراها للجزىء العملاق د.ن.أ. حين يدور حول محوره ١٠ ملايين دورة فى اتجاه معين، ثم يدور حول ذات المحور نفس العدد من الدورات فى الاتجاه العكسى ، وذلك قبل أن ينفلق إلى نصفين متماثلين تماما ... إنه يطوف حول نفسه ...

وفى الخلية الحية طواف ... إذ نرى السيتوبلازم الحى يدور حول النواة ليتلقى منها الشفرة السرية أو التعليمات الخاصة بالعمليات الحيوية ، وليعطيها الغذاء ويدفع إليها بمركبات جديدة .

وفى خلية ورقه النبات الخضراء طواف خاص ... إذ نرى البلاستيدات الخضراء التى تحتوى على الكلوروفيل تتخذ لنفسها مساراً دائرياً فى مستوى عمودى على اتجاه حزمة الضوء التى تسقط عليها .

ويذكرنا هذا بالمسار الدائرى الذى يتخذه الإلكترون عند ما يتعرض لمجال مغنطيسى ، حيث يكون مستوى حركته عموديا على إتجاه خطوط القوى المغنطيسية ...

★

وإذا تركنا جسيمات البناء الأولى فى العالم المادى بأحيائه وأمواته — ونعنى بها الذرة والجزىء والخلية — ثم انتقلنا إلى الأجسام العملاقة والأجرام السماوية ، لوجدنا نفسى الشىء ... فالمجوعة الشمسية تتكون من نواة كبرى هى الشمس، تدور حولها كواكب المجموعة فى أفلاك محددة ... إنها تطوف حول الشمس.

هذا بالإضافة إلى أن كلا من كوا كب المجموعة — عدا

عطارد والزهرة ـ يطوف حول نفسه ، بل ويحتمل أن يكون هذان الكوكبان يمارسان عملية الطواف أيضاً .

ولبعض كواكب المجموعة الشمسية أقمار ، مثل الأرض ولها قمر واحد ، ثم المريخ والمشترى وزحل ويورانوس ونبتون ولها من الأقمار ٢ ، ١٢ ، ٩ ، ٥ ، ٢ على الترتيب . وكل من هذه الأقمار يطوف حول كوكبه الذى ارتبط به .

كذلك فإن الشمس نفسها تطوف ... حول نفسها مرة كل شهر كما أنها ـ باعتبارها أحد نجوم المجرة ـ تطوف بتوابعها ككل نجوم المجرة حول المحور العمودى لدائرتها الاستوائية .

وتتميز حشود النجوم فى المجرات بخاصية الإزدواج حيث يتصادق نجمان ويدوران حول بعضهما بتأثير الجاذبية المشتركة ... إنها يطوفان . . .

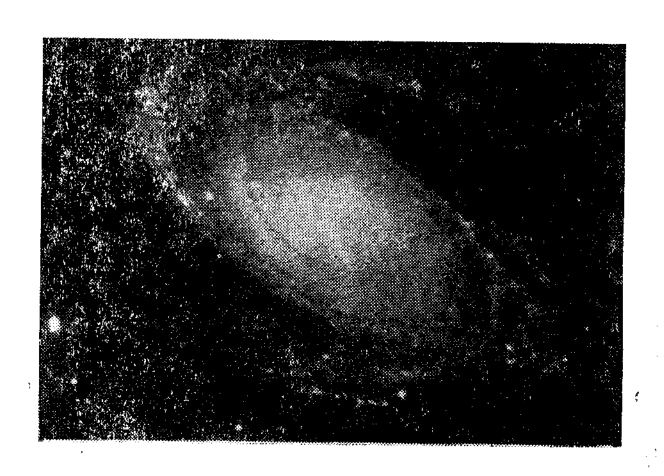
ثم إن المجرة بحشودها الهائلة من النجوم تطوف حول نفسها بسرعة زاوية قدرها ٧ ثانية كل ١٠٠ عام .

★

إن هذه المشاهد التى رأيناها تكفى لأن نقول : إن الطواف سمة متميزة من سمات الكون ... كل ما فى هذا الكون يطوف .

فالطواف حركة تنبىء عن رباط خاص . . والحركة طاقة هى ولا شك من أبرز دلائل الوجود .





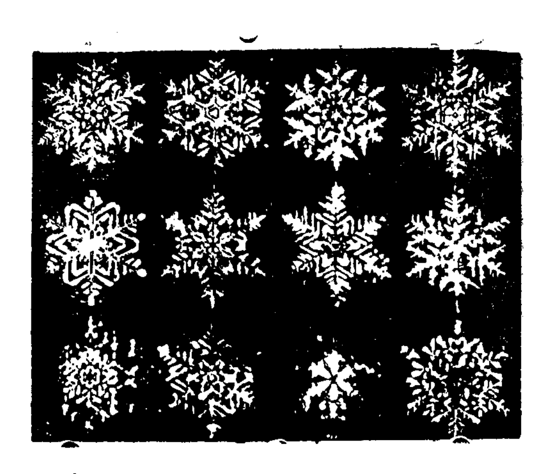
صورة للمجرة : م — ٨١

واحدة من ملايين المجرات التى تنتشر فى الفضاء .. وتحتوى الواحدة فى المتوسط— على ١٢٠٠٠٠ مليون نجم! وتبعد عنا ٧ ميلون سنة ضوئية .. ! والسنة الضوئية تعادل مسافة ٦ مليون مليون ميل !

★

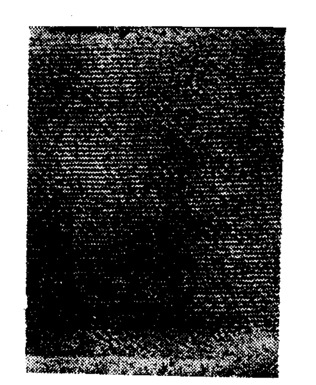
وكل ما فى المجرة يسبح ويطوف .
فى الذرة يطوف الإلكترون
وفى الخلية يطوف السيتوبالازم
وفى المجموعة الشمسية تطوف الكواكب ..
وفى المجرة تطوف النجوم ..
وفى البيت العتيق يطوف المسلم حول الكعبة ..

وهكذا : يتوافق الإسلام مع الفطرة ...



لعل هذه صورة لحديقة من الزهور الجميلة .. أو نقوشا صنعتها
يد فنان فى سجادة بديعة ..
كلا . . إنها تجمع لجزيئات الماء عندما تكون بللورات الثلج !
صورة رائعة لبعض ما فى الكون من نظام بديع ...





صورة بالميكروسكوب الإلكترونى
لذرات الغلاف السطحى لبللورة
من البلاتين .

إن انتظام التركيب ينبىء عما
خفى من روعة النظام الكونى ...

أما بعد . . .

إن الكون هو كتاب الله المحسوس . . . المفتوح دائماً . . .

وهو كتاب من سماته الرئيسية أولا : النظام وإنضباط العلاقات وفق قوانين رياضية ، كما تعبر عنها الإحصائيات والأعداد .

ومن سماته الرئيسية ثانياً : التدرج والتكرار . . .

التدرج فى البناء ثم تكراره . . . والتدرج فى الصور والخواص ثم تكرارها . . .

ومن سماته الرئيسية . . . ثالثاً : السبح والطواف ...

« كل فى فلك يسبحون »

. . . .

ومن سماته الرئيسية أخيراً هذا الإبداع الذى تنطق به روعة الخلق والاختراع . . .

★★

والآن – نقرأ هذا القول « الحق » الذى ينبئنا بأمر الكون وخواصه ، فنجده يقول :

١ – فى النظام والعلاقات الرياضية :

« لن تجد لسنة الله تبديلا : ولن تجد لسنة الله تحويلا » .
(فاطر : ٤٣)

« لا تبديل لكلمات الله » . (يونس : ٦٤)

وسنن الله وكلماته –هنا– هى القوانين التى تخضع لها مخلوقاته .

« وكل شيء عنده بمقدار » . (الرعد : ٨)

« والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل شيء موزون » . (الحجر : ١٩)

« وإن من شيء إلا عندنا خزائنه ، وما ننزله إلا بقدر معلوم » .
(الحجر : ٢١)

« وأنزلنا من السماء ماء بقدر ، فأسكناه فى الأرض ، وإنا على ذهاب به لقادرون » . (المؤمنون : ١٨)

« وأحصى كل شيء عددا » . (الجن : ٢٨)



٢ ـ وفى التدرج والتكرار :

« إنه هو يبدىء ويعيد » . (البروج : ١٣)

« ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة » . (لقمان : ٢٨)

« وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ، ما فرطنا فى الكتاب من شىء ، ثم إلى ربهم يحشرون » . (الأنعام : ٣٨)

« ما لكم لا ترجون لله وقارا . وقد خلقكم أطوارا » . (نوح : ١٣ – ١٤)

«يخلقكم فى بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق فى ظلمات ثلاث» . (الزمر : ٦)

« الله الذى خلقكم من ضعف ، ثم جعل من بعد ضعف قوة ، ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبة ، يخلق ما يشاء وهو العليم القدير » . (الروم : ٥٤)

★

٣ ـ وفى السبح والطواف :

« وهو الذى خلق الليل والنهار والشمس والقمر ، كل فى فلك يسبحون » . (الأنبياء : ٣٣)

« وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر ، والنجوم مسخرات بأمره ، إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون » .

(النحل : ١٢)

« لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ، ولا الليل سابق النهار ، وكل فى فلك يسبحون » . (يسٓ : ٤٠)

★

٤ ــ وفى روعة الخلق والاختراع :

« بديع السموات والأرض ، وإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون » . (البقرة : ١١٧)

« الذى أحسن كل شىء خلقه ، وبدأ خلق الإنسان من طين . ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ، ثم سواه ونفخ فيه من روحه ، وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة ، قليلا ما تشكرون » . (السجدة : ٧ ــ ٩)

« صنع الله الذى أتقن كل شىء » . (النمل : ٨٨)



إن هذا يعنى ببساطة أن الذى أبدع هذا الكون الرهيب هو ولا شك – العليم الخبير – الذى قال كلمات الحق هذه : فى النظام والعلاقات الرياضية ، وفى التدرج والتكرار ، وفى السبح والطواف ، وفى روعة الخلق والإختراع .

« ومن أصدق من الله حديثاً » (١).

★★★

---

(١) سورة النساء : ٨٧



خاتمة

أما بعـــد ...

إنها نظرة فى « **ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شىء** » ... نظرة فى الكون ، صنع الله : كتاب الله المفتوح ...

وهى نظرة فى القرآن ، كلام الله : كتاب الله المقروء ...

ولا يحتاج العقل السوى إلى كبير جهد فى التسليم بنتيجة أولية تقول :

إن الذى صدر عنه الكون هو الذى صدر عنه القرآن .

تسليم يهدى إلى الإسلام ...

« **أفغير دين الله يبغون ، وله أسلم من فى السموات والأرض طوعا وكرها ، وإليه يرجعون** » .



ولم يبق لنا هنا ما نقوله سوى تنبيه إلى شـــىء من قول الحق :

« ماذا بعد الحق إلا الضلال ، فأنى تصرفون » ...

« تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق ، فبأى حديث بعد الله وآياته يؤمنون » ...

★

وأخيراً نقول : اللهم إن كان هذا حقاً ترضاه ، فاهد به **« أناسى كثيراً »** .

وإن خالطه غير ذلك : **«فاغفر وارحم وأنت خير الراحمين»**.



قائمة المراجع الرئيسية

١ ــ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم : محمد فؤاد عبد الباقى دار الكتب الحديثة

٢ ــ أسرار ترتيب القرآن : الحافظ جلال الدين السيوطى ــ دار الإعتصام

٣ ــ تفسير ابن كثير .

٤ ــ الإعجاز العددى للقرآن الكريم : الدكتور عبد الرازق نوفل دار الشعب

٥ ــ دورات الحياة : الدكتور عبد المحسن صالح ــ دار القلم

٦ ــ طبائع الأحياء : الدكتور بروك ورث ــ ترجمة الدكتور عبد الحافظ حلمى ــ مؤسسة سجل العرب



7 — S. Toulmin & J. Goodfield : THE ARCHITECTURE of MATTER, Penguin Books, 1965.

8 — J. Muirden : The Pan Book of ASTRONOMY, London, 1964.





الفهـــرس



صدر للمؤلف

١ – العلوم الذرية فى التراث الإسلامى	مكتبة وهبة
٢ – المسيح : فى مصادر العقائد المسيحية (خلاصة أبحاث علماء المسيحية فى الغرب)	مكتبة وهبة
٣ – النبوة والأنبياء (فى اليهودية والمسيحية والإسلام)	مكتبة وهبة
٤ – الوحى والملائكة (فى اليهودية والمسيحية والإسلام)	دار النهضة العربية

★

تحت الطبع

طائفة الموحدين

★★

هذا الكتاب

● تقول نخبة ممتازة من كبار المشتغلين بالعلوم الحديثة :

- « أينما اتجهت ببصرى فى دنيا العلوم رأيت الأدلة على التصميم والابداع ·· على القانون والنظام ·· على وجود الخالق الأعلى · الحق انه من قطرة الماء ·· الى تلك النجوم ·· لا يسع الانسان الا ان يمجد ذلك النظام الرائع والقوانين التى تعبر عن تماثل السلوك وتجانسه ·· لابد أن يكون وراء كل هذا النظام خالق اعلى · فليس مما يقبله العقل ان يكون هناك نظام او قوانين دون ان يكون وراءها عقل اعلى ومنظم مبدع » ··

دكتور سيسل هامان

- « ان ذلك النظام البديع الذى يسود هذا الكون يدل دلالة حتمية على وجود اله منظم ، وليس على وجود مصادفة عمياء » ·

دكتور واين اولت

- « ان الانسان يشاهد التنظيم والابداع حيثما ولى وجهه فى نواحى هذا الكون · ويبدو ان هذا الكون يسير نحو هدف معين كما يدل على ذلك النظام الذى نشاهده فى الذرات » ·

دكتور جون ادولف بوهلر

● وهذا الكتاب دعوة للنظر فى القرآن : كتاب الله المقروء ، على ضوء النظام فيه - وهو النظام الذى تترابط به الحروف والكلمات والآيات والسور فيقدم بالرسم البيانى والاحصاء وجها جديدا من اوجه الاعجاز القرآنى ·

وبين النظام القرآنى والنظام الكونى لا يملك الانسان الا ان يقول كما قال ابو الأنبياء ابراهيم : « أسلمت لرب العالمين » ·

الثمن ٧٠ قرشا

دار غريب للطباعة

١٢ شارع نوبار (لاظوغلى) القاهرة

تليفون : ٢٢٠٧٩